

آفاق الحركة الإسلامية



سَمَاحَةُ الْمَجْمَعِ الدِّينِيِّ آيَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى الْحَاجُّ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدْرَسِيُّ



آفاق الحركة الاسلامية

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)

الطبعة: الثانية ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م. (٢٢٤ صفحة)

تحقيق: مركز العصر للثقافة والنشر

الناشر: دار المحجة البيضاء - بيروت



آفاق الحركة الاسلامية

سَمَاجَةُ الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ آيَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمَاجِدُ
السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ تَقِيُّ الْمَدَرَسِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

(سورة فصلت، الآية ٣٠)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل صلواته على سيد الأنبياء محمد بن عبد الله، وعلى آله المعصومين واصحابه المنتجبين وعلى عباد الله الصالحين.

وبعد:

حين لا تكون الاستراتيجية واضحة، فإن كثيراً من الطاقات تذهب سُدى.

والله أمرنا بأن نطلب منه الهداية الى (الصراط المستقيم). ولعل هذه الكلمة أفضل تعبير عن الاستراتيجية السليمة.

والحركات الاسلامية التي من المفروض أن تكون الأنهر التي تستقبل تيار المد الاسلامي المتنامي، لا بد أن تفكر ملياً في موضوع الاستراتيجية السليمة. والاحاديث التي بين أيديكم نقاط فوق حروف الاستراتيجية الصالحة للحركات الاسلامية.

ونسأل الله أن ينفع بها من يشاء من عباده الصالحين، إنه سميع الدعاء.

محمد تقي المدرسي / ٨ شعبان ١٤٠٥ هـ

تمهيد

يصدر هذا الكتاب^(١) في برهنة زمنية حاسمة - وهي سرُّ أهميته - تظهر فيها معادلتان متناقضتان قد تحدّدان مسار الحضارة مستقبلاً:

المعادلة الاولى:

تجدّد روح الاستقلال والحرية في الامة، والثورة ضد التبعية والطغيان، بعد سنين من التخبط والضياع، فها هي تتطلع لمزيد من الوعي والبصيرة الاسلامية، وتبحث عما يسد الهوة الكبيرة في حياتها.

المعادلة الثانية:

تحرك القوى الاستعمارية والعميلة - اليوم - ضمن استراتيجية شاملة لضرب الصحوة الاسلامية المتصاعدة، وتكريس حالة التبعية في الامة.

في هذا الوقت يصدر الكتاب ليلقي ضوءاً على مختلف القضايا الحساسة العائمة في بحر العالم الاسلامي، ويهتم بضرورة تركيز الثقافة الحقة في المجتمعات والتجمعات الاسلامية، ويركز الكتاب

١ - صدر هذا الكتاب في عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

على الموضوعات التالية:

أولاً:

فضح المؤامرات والمكائد الاستعمارية الخبيثة، وتسليط الضوء عليها، وتبديد شعوذتها ومكرها، وبالتالي طرح الواجب قبالها. وقد أجمال الكتاب الوسائل الاستعمارية الفتاكة في عدة مباحث - تناولها بإسهاب موضوعي - تتمحور حول ما يلي:

١- تجميع رجال باسم التجديد، يتبجحون بشعار التجديد في الفكر الإسلامي، لتمرير بعض المذاهب الاستعمارية الوضعية كالبهائية والقاديانية، لتكون بديلاً في قبال الرسالة السماوية الغراء.

٢- تسليط الأنظمة والحركات الفاشية، والارهابية، والديكتاتورية على المسلمين ومحاوله محو وسحق الهوية الإسلامية بواسطتها.

٣- تفتيت الحركات الإسلامية الصادقة، وبالتالي الامة الإسلامية، وبث الخلاف فيما بينها، لتكون كُرَّةً بين أقدامهم يتقاذفونها يمينه ويسرة، وإن شاؤوا قضوا عليها.

ثانياً:

إعتبار الحركات الإسلامية الصادقة اسلوباً بنّاءً لتوطيد معالم الرسالة في ربوع العالم الإسلامي، ومن ثم التركيز على ضرورة

الوحدة مع بعضها.

ويحاول الكتاب دراسة الحركات من جوانبها الثلاثة:

١- شروط الحركة الاسلامية الصادقة، كالايمان بالله والتوكل عليه، فاعليتها للاحداث وليس الانفعال بها، وامتلاكها البصيرة الثاقبة، والتفريق بينها وبين الحركات السياسية الاخرى.

٢- واجب الحركات الاسلامية الصادقة تجاه بعضها، كالإتحاد والتعاون.

٣- واجب الحركات الاسلامية الصادقة ككتلة مترابطة تجاه الاعداء.

ثالثاً:

بناء الامة الاسلامية، ووجوب التمحور حول الرسالة، ورفض المناهج الاجنبية الدخيلة، وبالتالي ضرورة التحرك الجماهيري والنهوض ضد الانحراف.



الفصل الاول:

كيف نبني حركة رسالية؟

- ١- النهضة الاسلامية ضرورة حياتية
- ٢- الاخلاص عنوان الحركة الرسالية
- ٣- سمات الحركة الرسالية
- ٤- الايمان منطلق الحركة الرسالية
- ٥- عوامل انتصار النهضة

النهضة الاسلامية ضرورة حياتية

إنَّ قيادات الانظمة الحاكمة في البلاد الاسلامية يتخذون الغرور والخذاع الذاتي وسيلة لبقائهم، في الوقت الذي هما اقرب لهلاكهم.

فكلما يقال لهم إنَّ الزمن قد تبدل، والنهضة الاسلامية متصاعدة، والشعوب وعت لما يُحَاكَّ ضدها، وارتفعت ثقافتها، ولا مجال للمستبدين، فانهم يلوذون بدول الاستكبار العالمي اكثر من ذي قبل.

فترى احدهم يدَّعي بأنَّ ما يجري في مصر إنما هو فتنة طائفية، أو تدخل أجنبي في الشؤون الداخلية، لأنَّ كل رجلين من (١٥٠٠) معتقل سياسي ينتمون الى أحد الأحزاب الدخيلة.

ثم يقول: إنَّ هناك من يحاول اقامة حكومة الامام الخميني في مصر، وفي نهاية المطاف يرى أنَّ كلامه لا يجدي فيستخدم العنف ضد من يطالب بحقه في الكرامة والحرية في مصر.

ولكننا نعتقد أنَّ النهضة المتنامية في العالم الاسلامي ستنتصر

- باذن الله - وذلك لأن الحضارات تبدأ بفكرة قادرة على احتواء مشاكل البشرية، وعلى إعطاء الانسان قدرة كافية لمواجهة هذه المشاكل، وقيمة أعظم وأكثر من المادة، ثم تتحول الحضارة من القيمة الى المادة، ومن القوة الى الفعل، ومن المكاسب المعنوية الى المظاهر المادية.

هكذا تتحول شيئاً فشيئاً حتى تكبر وتبدو ظاهرة للعيان. أما البسطاء والسُّدَج من الناس، فانهم يرون الحضارة وهي فوق الجبل، ولا يعلمون ان هذه الحضارة التي وصلت الى قمة الجبل قد وصلت منهوكة منهارة ومتآكلة، ولقد جاء دور هبوطها من السفح الاخر، ثم انهيارها.

وهذه الفكرة صادقة على كل حضارة للبشرية عبر التاريخ، وهي صادقة ايضاً على الحضارة المادية الغربية، التي هي سلبية الحضارة الهيلينية في التاريخ.

إنَّ من يتعمق في واقع الشرق والغرب، يكشف هذه الحقيقة ببساطة:

إنَّ الثقافة في العالم الغربي، وفي الحضارة المادية، قد توقف توهُّجها وأفل ضوءها، وبدأت تتآكل.

آباء الثورة الفرنسية، كانوا يحلمون ببناء عالمٍ حر عادل، تسوده المساواة، ولكن ماذا يحلم به الفرنسيون اليوم؟

إنَّ الفرنسيين يحلمون بأشهى الاكل، والمزيد من الراحة، كما

يبحثون عن دور امبريالي جديد في بعض المناطق من قارة آسيا وافريقيا.

وإنَّ آباء القانون الذي وضعه الامريكيون، وسمي (بالدستور) وذلك في عام ١٧٨٩م، ركزوا فيه على:

١- عدم التدخل في شؤون الآخرين.

٢- ضرورة حمل مشعل الحرية للعالم.

٣- دعم الثورات التحررية.

٤- مقاومة الاستعمار.

اما اليوم فماذا يحلم به الامريكيون بعد الهزّة العنيفة التي اصيبت بها في كثير من بقاع الأرض، والتي أصبحوا على اثرها كالكلاب المسعورة المريضة الموضوعة على قارعة الطريق تبحث عن الفريسة بأيّ حيلة؟

كل هذا نتيجة توقف مسيرة الثقافة والحضارة، وتدهور منظومة القيم الإلهية.

ولأنّ الحضارة كانت مادية، فانها اتجهت الى الصراع، والصراع جزء داخلي في البناء الحضاري الغربي والشرقي، وهو الذي خلق الاسلحة والجوش، وهو الذي جعل الاوروبيين في يوم من الايام يفترس بعضهم بعضاً.

وذكريات الحرب العالمية الثانية، لا تزال تقلق مضاجع الانسان الاوروبي، فلقد قُتِل في هذه الحرب (٦٠) مليون انسان، أي انه قد

ثكلت (٦٠) مليون أم وترملت (٦٠) مليون عائلة.

وفي تلك الايام لم تكن الاسلحة مدمرة بدرجة الاسلحة التي صنعتها الجاهلية الغربية اليوم.

والعامل الذي كان وراء الحرب العالمية الثانية، لا يزال موجوداً.

فالмикروب الذي خلق هذه العوارض المريضة موجود في الجاهلية المادية، وهو: عامل التنافس من أجل المادة.

وميزانيات التسلح في العالم شاهدة على ما نقول.

فمنذ الحرب العالمية الثانية، وميزانية التسلح في تزايد مستمر، واليوم قد بلغت ميزانيات التسلح حداً ابتلعت كل الجهود البشرية وكل التقدم البشري.

التضخم في العالم، سواء العالم الرأسمالي أو الاشتراكي، والذي ينتقل عبر القوانين الجائرة الى البلاد النامية، والذي يولد بدوره البطالة وتقليل فرص العمل، كما يولد الفقر، وبالتالي يولد الصراع ويؤدي الى نشوب الحرب، هذا كله موجود اليوم.

تذكر إحدى الإحصائيات، بان حجم البطالة في مصر قد بلغ (١٢) مليون انسان.

أما في السودان فلا بد أن تبحث عن أرقام ضئيلة تعكس حجم العمالة والعمل، أما البطالة فحدث ولا حرج.

فماذا يعني ذلك؟

إنَّ البطالة والتضخم، وسائر الامراض الاقتصادية التي استوردت من الغرب والشرق، بسبب القوانين الجائرة، والتي اختمرت في بلادنا، أصبحت كجرثومة انتقلت من بلد الى بلد، وتكاثرت وبدأت عوارض المرض تظهر اليوم.

فماذا يفعل الانسان؟

يستطيع الانسان التحدي، لأنَّ الله خلق روح الانسان بطريقة تستطيع أن تعرف المرض، وتتحداه، فلو لم يكن الانسان بهذا المستوى من الخلاقة والابداع لانهت البشرية منذ فترة طويلة.

هناك صعوبات كثيرة واجهت البشرية في تاريخها الطويل، فكافحت البشرية تلك الصعوبات وتغلبت عليها.

واليوم، هناك أزمة خائفة تواجهها البشرية وهي أزمة الحضارة الغربية، أزمة المادية العمياء، أزمة الصراع من أجل المادة، أزمة السباق النووي، أزمة ميزانية التسليح العالمية، أزمة البطالة المتفاقمة، أزمة التضخم المتصاعد.

فهل يكون للبشرية قدرة على التفوق وتحدي هذه الازمات أم

لا؟

انه لا ريب ان لدى البشرية القدرة وبدليل تاريخها الطويل.

فاذاً من هي البشرية القادرة على التفوق على هذه الازمات؟

أين تنطلق النهضة، ومن اين؟

الثورات من أكواخ المستضعفين

إنَّ هناك من يقول ان الثورة الثالثة ستنطلق من امريكا،
والبعض يقول من اوروبا، والبعض الاخر يقول من بلاد الشرق.
اما نحن نقول: كلا، لأنَّ الثورة لا تُزرع في أرض غنيّة، كما
الحضارة لا تنمو في ارض غنيّة.

فليس هناك حضارة نمت في أرض غنيّة وفي ظروف مرفّهة.
فهل يمكن ان يثور الفرنسي؟
كلا.

لأنه اليوم يبتز الشعوب المسلمة في الجزيرة العربية، والخليج،
وافريقيا.

وهل يمكن ان يثور الامريكي؟
كلا، فهو اليوم يسرق العالم، بل يسعى لكي يلتهمه التهاماً،
وكذا حال مستكبري بلاد الشرق.
إذاً فمن الذي يثور؟ إنهم حفاة الاقدام.
واين يثورون؟ في افريقيا.

وفي أيّ بلد يثورون؟

في مصر التي هي بوابة افريقيا، وناقلة الحضارة الاسلامية الى
افريقيا، والدولة العربية الكبرى، ومركز الاشعاع الروحي للعالم
الاسلامي في فترة طويلة.

لقد انتظر المسلمون بدورهم طويلاً، فبهرت بعضهم حضارة الغرب فتغرب، واستهوت بعضهم بطولات بعض الثائرين في الشرق فتشرق.

ولكن اليوم قد سقطت الاقنعة، لأن المسلمين عادوا الى قرآنهم، ورأوا فيه ينبوعاً لا ينضب، وحضارة لا تنتهي، فاتجهوا الى الاسلام.

إن المسلمين لم يتجهوا الى الاسلام بسبب أن أغلب الأنظمة العربية أخذت تلهث وراء توقيع معاهدة الإستسلام للكيان الصهيوني، بل إن الشعوب الإسلامية تتجه الى الإسلام لتبدأ مسيرة طويلة وشاقة، هي مسيرتها الحضارية البناءة.

إن الاعتقالات والإضطهاد لن توقف المسيرة، سواء في مصر أو في السودان أو في شمال افريقيا كلها.

لأن كل التطورات تنبئ بان انتصار الأمة الاسلامية على عوامل التخلف والقهر والإضطهاد قريب، واقرب مما يتصوره الطغاة.

ولكن وحسب الظاهر إن كمبيوترات المستكبرين في العالم لم تقرأ التاريخ ولم تحفظ احداثه، وإنما لا تستوعب التاريخ، لان الكمبيوتر معادلة رياضية، والمعادلة الرياضية لا تستطيع ان تدرس المعنويات أبداً.

الاخلاص عنوان الحركة الرسالية

قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١﴾.

تسود العالم الاسلامي اليوم موجة قاهرة من الوعي الاسلامي واليقظة الاسلامية، وعلينا أن نكون حذرين حتى لا تكون هذه الموجة قائمة على أساس غشاء السيل، وإنما يجب أن تكون على أساس ما ينفع الناس، وان لا تتأثر بسلبيات تاريخ المسلمين الذي هو مزيج من القيم الالهية والنزعات البشرية، باعتبار أن تاريخ المسلمين إنما هو من صنع المسلمين وهم بشر:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وما داموا بشراً، فإن الآثار السلبية سوف تتفاعل مع نفوسهم، وبالتالي مع تاريخهم، ولا يمكن أن نقُدِّس التاريخ ونعتبر أن كل ما فعله الاولون هو الحق، لأن هذه نظرة بدائية وجاهلية، فالجاهليون كانوا يزعمون أن آباءهم كانوا على أمةٍ وأنهم على آثارهم مقتدون.

ولكننا نقول ان كتاب الله، وسنة رسول الله، ونصوص أهل بيت رسول الله، التي استوحوها من كتاب الله ومن حديث الرسول هي المعصومة عن الخطأ فقط، وهي القيمة، والمقياس، والفرقان. أما ما جرى في التاريخ، فهو يحتمل الصدق والكذب، والصحة والخطأ، والاستقامة والانحراف. فلنكي لا تنحرف هذه الموجة الإسلامية عن اصولها السليمة، لا بد أن نعيد النظر في كثير من الامور، ولا بد أن نعرف كيف نستوحي من القرآن تعاليم التحرك السياسي، وأساليب العمل التغيير، ويجب أن نتمعن جيداً لنعرف هل في القرآن أساليب للعسكرية الإسلامية، وتوجهات للأمن الداخلي والخارجي وللتنمية الاقتصادية ولتنظيم العلاقات بين مختلف قطاعات الحركة الإسلامية ولمختلف المشاكل التي تعانيها الامة، وتعاينها طلائع الأمة المجاهدة؟

١ - سورة يوسف: ٥٣.

لذلك لا بد للإنسان أن يستنبط منهاج حياته من القرآن، ويرسم مستقبله في هذه الدنيا عبر التعاليم الشرعية، فليس هناك فاصل بين الدين والدنيا، ولا بين التعاليم الإسلامية الإلهية ومفردات التحرك الفردي، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو الاقتصادي، أو في سائر الحقول، فالإسلام لكل مناحي الحياة، وكلها موجودة في تعاليم القرآن، ومن هنا نستوحي من الآيات التي تليت آنفاً بعض التعاليم التي جاءت في القرآن الحكيم، في هذا المجال.

ولا بد أن نعرف أولاً أن هناك فرقاً كبيراً بين ما اصطُلِحَ عليه من الحركة السياسية والحركة الرسالية، فالحركة السياسية حركة تهدف الوصول إلى السلطة، وعلى هذا الأساس ترسم طريقها وخريطة عملها.

وعادةً ما تضطر هذه الحركة لأن تخوض حرباً شديدة وصراعاً حاداً مع سائر الفرق المنافسة لها، بغية الوصول إلى السلطة، فالسلطة محور صراعات البشر، والوصول إليها ليس سهلاً، بل هو بحاجة إلى خوض صراع مع الأطراف الأخرى، وخلال هذا الصراع تشعر الحركة السياسية بضعف، ولذلك تبرر بعض مواقفها بقولها بأنَّ (الغاية تبرّر الوسيلة)، ولذلك نرى أن كثيراً من الحركات السياسية بدأت نظيفة ونقية ولأهداف إنسانية، ولكنها تلوثت خلال المسير بكثير من السليبيات، فبعضها ارتقت في أحضان المستعمر، وبعضها تحولت من حركة سياسية مستقلة إلى مجموعة مرتزقة، وشراذم

وجواسيس للدول الكبرى، لماذا؟ لأن حتميات التحرك السياسي، والظروف الصعبة التي تمر بها الحركة السياسية، تؤدي الى انحرافها عن مسيرتها، وتورطها في الجرائم، وفي مختلف أشكال الالتواء والنفاق، والمكر والخداع.

ان الحركات السياسية في بلادنا ومجاميع حركات الضباط في الجيوش العربية، كانت تستهدف انقاذ فلسطين وإبادة الصهاينة، واعطاء الحرية للجماهير، و - إذا وصلت الى الحكم - تعميم الرفاه الاجتماعي، ولكنها حين وصلت الى الحكم، وصلت منهكة مثقلة بالسلبات، وبالضغائن والأحقاد تجاه بعضها، فوضعت السيف في رقاب العباد، وكانت أسوأ من السابق، وصدق عليها قول الشاعر:

«رَبِّ يَوْمٍ بَكَيتُ مِنْهُ فَلَمَّا صَرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيتُ عَلَيْهِ»^(١)

إنَّ الشعوب الإسلامية والعربية كانت تبكي من أنظمتها، فلما حدث الانقلاب العسكري، بدأت تبكي على تلك الانظمة، لماذا؟ إننا لا نستطيع أن نقول إنَّ هذه الحركات كانت عميلة للأجنبي منذ البداية، وإنما لأن طبيعة الظروف الصعبة التي مرَّت بها، ولعدم وجود عاصم يعصم أبناءها من الارتقاء في أحضان العمالة الأجنبية أو الخضوع للعقد النفسية هو الذي سبب هذه النهاية البئسة لهذه الحركات. فالرجل الذي عاش عشرين عاماً في السجون وأهين في

١- هذا البيت منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام. بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ٤٥٢.

الرنازين، ولم يملك الايمان الكافي، أصبح كتلة من العقد، لذلك حينما أراد الاستعمار، شراء مثل هذا الرجل اشتراه بأبخس الأثمان، وهذا ما حدث تماماً لأمثال أنور السادات الذي باع القضية العربية والفلسطينية بأبخس الأثمان، لماذا؟

لأن في داخله كانت كتلة أحقاد، ولذلك اضطر الى أن يبيع نفسه من خلال نزعاته الذاتية الداخلية، فأمثال هؤلاء يعانون من هذه العقد، ولذلك كان يصفى بعضهم بعضاً وينقسمون على أنفسهم، ويتقاتلون في مخيماتهم، وتتراكم المشاكل عليهم وبعد لما يصلوا الى تحرير شبر واحد من أراضيهم.

هذه هي الحركة السياسية بالمفهوم الضيق الذي اصطلح عليه حالياً، وفي مقابلها الحركة الرسالية، التي تستوحي قيمها من الاسلام، وتعمل لله، ولا تنسى أن هدفها مقدس وعظيم، ولا بد أن تحققه، وهو ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى.

إن هذه الحركة لا تريد السلطة لذاتها، ولا تتحول السلطة في عينها الى هدف مهما كانت الظروف، وإنما السلطة بالنسبة لها وسيلة. إن هذه الحركة بالرغم من أنها تخوض صراعاً سياسياً حاداً وتُفتن بتلك الضغوط التي افتنت بها سائر الحركات السياسية، وبالرغم من ملاحقة أجهزة الأمن لها، إلا أنهم يعتصمون بحبل الله، ولا ينسون أنهم أصحاب رسالة، وليسوا أصحاب سياسة، فهم لا يفتشون عن مكاسب ومغانم. إن أبناء هذه الحركة يذكرون

الله قبل كل عمل، ليلوروا نيتهم، ويعتصموا بالله مع كل عمل، ويشكروه بعده، فهم يرون بأنَّ السفر في سبيل الله عمل رسالي، والدخول في السجن في سبيل الله عمل رسالي، وكل ما يجري عليهم وما يصدر منهم هو في سبيل الله.

فالسجن حينها إقتداء بالامام موسى بن جعفر عليه السلام وبالنبي يوسف الصديق، وبسائر الانبياء والائمة الذين اعتقلوا وسجنوا وعلى رأسهم رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه الذي بقي في شعب ابي طالب سنوات ثلاث مسجوناً مع الامام علي وخديجة وأبي طالب وآخرين من بني هاشم، لذلك فإنَّ هذا الرجل - الذي يدخل السجن وفي قلبه نية العمل الصالح ونية التقرب لله بعمله، وعند ممارسة الجلادين الوان التعذيب على جسده البريء يلهج بذكر الله ويعتصم به، وعند خروجه من السجن يستمر في ذلك - إنَّ هذا الرجل لا تتراكم العقد في نفسه، وكثيراً ما يعفو ويصفح.

فكم آذى أهل مكة النبي صلوات الله عليه وألقوا في طريقه الاشواك، والقذارات، وهو في حالة الصلاة، وادموا جسمه، وقاطعوه، وجوّعوه، واهانوه، مع كل ذلك حينما رأهم خاضعين لسلطته بعد فتح مكة، قال:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١).

فهو لم يكن يحمل عقدة نفسية لانه في سبيل الله، إن المؤمن

١- الكافي، ج ٣، ص ٥١٣.

كلما رفع رجله ووضعها، وكلما أودى في سبيل الله، وكلما هاجر في سبيل الله، وأُخرج من بلده، يعلم بأن كل ذلك محسوب عند الله: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(١).

لذلك لا تتراكم العقد في ذاته، فالمؤمن لا يخشى أحداً غير الله، وإن كثيراً من الأعمال الخاطئة يقوم بها الإنسان بسبب ضعفه النفسي، وخوفه من المستقبل، وخشيته من الفشل، أما المؤمن فإنه لا يخشى الفشل، ولا يرى ضرورة لسلوك الطرق الملتوية، ولا يرى ضرورة للكيد والحيلة، وإنما يتحرك باستقامة، لأنه يتوكل على الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢).

إن الشيطان يوسوس للإنسان بسلوك السبل الملتوية المتعرجة، ولكن القرآن يقول بأن الطريق الواسع هو الطريق الصحيح والمحجة البيضاء:

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾^(٣).

إن سبل السلام هي عند الله سبحانه:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٤).

إن تقوى الله هي التي تعطي الإنسان طريقة الخروج من

١ - سورة طه: ٥٢.

٢ - سورة الطلاق: ٣.

٣ - سورة المائدة: ١٦.

٤ - سورة الطلاق: ٢-٣.

مشاكله وليس معصية الله سبحانه وتعالى، وهذه مفارقة مهمة جداً في حياة الحركة الرسالية، فهي تعتمد الطرق المشروعة أنى استطاعت الى ذلك سبيلا، وتتجاوز الطرق غير المشروعة، وترسم خارطة طريقها بناءً على الآية الكريمة:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾^(١).

ولكن ما هي العلاقة بين قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ والذي يعني: اللهم اجعل عملي عملاً صادقاً، أدخل فيه بجد واجتهاد وإيمان واستقامة ومسؤولية، وأخرج منه بعد ان أؤدي العمل كاملاً، وبين قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ والذي يُفسّر - في بعض الروايات - بالسيف، أي القوة، أو يعني ان اكون حاكماً، او تحت ظل حكومة عادلة؟

العلاقة هي أن من يدخل مدخل صدق ويخرج مخرج صدق باذن الله هو الذي يعطيه الله سلطاناً نصيراً، وهذه سمة الحركة الرسالية.

إنَّ الحركة الرسالية لا تستعجل النتائج، ولذلك لا تتورط في مجموعة مشاكل نفسية، فالامام الصادق عليه السلام حينما يتحدث عن امير المؤمنين عليه السلام بقوله:

١ - سورة الإسراء: ٨٠.

«وَاللَّهُ مَا عَرَضَ لِعَلِّيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَانِ قَطُّ، كِلَاهُمَا لِلَّهِ طَاعَةٌ، إِلَّا عَمَلٌ بِأَشَدِّهِمَا وَأَشَقَّهُمَا عَلَيْهِ!»^(١).

أي أكثرها شدة، يريد أن يربِّي فينا روح الثبات وعدم الفرار من المصاعب. فالذي يفر من الصعوبات ومن الأعمال الشاقة يتورط في المزالق، فالمؤمن يتربَّى على اقتحام المصاعب، لأنه يتحلَّى بالإيمان.

ولكن ما هي حقيقة الايمان؟

إنَّ ظاهر الايمان هو الصلاة، والصوم، والذهاب الى المسجد، ولكن حقيقة الايمان المستقر هو الخروج من الذات، حيث يعيش الانسان مع الحق لا مع النفس ورغباتها وشهواتها، وإنما يعمل لله سبحانه.

والآيات التي تلونها في بداية الحديث توحى بهذه الحقيقة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾.

ان القرآن هنا يخاطب المؤمنين، وخطابات القرآن بعضها لعامة الناس مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ وبعضها للمؤمنين خاصة، مثل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

فهو أمر صريح بأن:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾.

١ - بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ٣٣٥.

وكلمة (قَوَّامِينَ) صيغة مبالغة، وجاءت بلفظ الجمع، فازدادت تأكيداً:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾.

الفرق بين القسط والعدل: أنَّ القسط هو العدالة الواقعية، وليست الظاهرية. فتعني الآية ينبغي أن تكون حياتكم قائمة على أساس التحرك السريع المستمر من أجل العدالة.

﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.

إنَّ هذا هو الخروج من الذات، فكم هي قيمة أن يشهد الإنسان لله، وأن يكون شهيداً في الله وهو حي؟

إن الإنسان بحاجة إلى أن يزكي نفسه حتى يصل إلى هذه الحقيقة الصعبة.

﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.

إنَّ القرآن يأمرنا بأن تكون شهادتنا لله وليس على حساب الحق والحقيقة، ولا يصح أبداً أن نشهد لأبناء طبقتنا، فلكوننا فقراء نشهد للفقراء، أو لكوننا أغنياء نشهد للأغنياء.

إنَّ هذه الشهادة خاطئة، سواءً كانت بمفهومها الطبقي أو الرأسمالي، فالآية تشمل كلا المفهومين وتشير إلى الخطأ في كلا النظامين، وعلينا أن نقول الحق إنَّ وُجد.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾.

على الانسان ألا ينظر الى مصلحة فيتبعها وانما عليه أن يتبع الحق.

﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي إن الذي يتبع الهوى لا يعدل.

﴿وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

إن الإعراض هو عدم تقبل القرآن نهائياً، والمعرضون مصيرهم واضح وبيّن للجميع وهو نار جهنم، أما البعض فانه لا يعرض عن القرآن وانما يؤوله ويحاول أن يبحث عن تفسير وتأويل يبعده عن القرآن وأحكامه.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

إنّ الموجة الاسلامية العارمة استطاعت بحركاتها الرسالية أن توجه ضربات قاصمة للاستكبار العالمي في المنطقة، وأن تحقق كثيراً من الانتصارات، والتي من ضمنها الانسحاب الاسرائيلي من بعض مناطق جنوب لبنان، وإنّ هذه الانتصارات جاءت نتيجة تضحيات الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، والذين لم يبحثوا لا عن اسم أو شعار، هؤلاء وضعوا أرواحهم على أكفهم وقهروا العنجهية الاسرائيلية ولاول مرة في تاريخها، واصبحوا مثلاً لكل انسان واع في العالم الاسلامي، والواعون في العالم الاسلامي الذين يريدون أن ينقذوا امتهم عرفوا الآن بأن الطريق هو الانتماء الى الحركة الرسالية التي تأخذ شرعيتها من القرآن الحكيم ومن جهاد المؤمنين الصادقين في التاريخ، ومن استشهاد أبي عبد الله

الحسين عليه السلام، ومن واقعة كربلاء.

ويجب أن نقف عند هذا الانتصار طويلاً، لأنّ الانتصار في عصر الهزائم عظيم، فلقد علمتنا الهزائم المتلاحقة كيف نهرب، والآن جاء دور الرساليين لكي يلقنوا المستعمر درساً لن ينساه، وليخرجه ذليلاً خاسئاً من أراضيه، وليعطوا للعالم أجمع درساً في النضال والتضحية.

ففي منطقة حساسة، وضد عدو قاهر يخشاه الناس، ويضرب به المثل، نرى مجموعة من الشباب الذين لا يملكون إلا إيمانهم وجهدهم ينتصرون على إسرائيل، وإلى سنين لا يعرف الإسرائيليون كيف حصلت الهزيمة لهم.

هذا معنى أن يكون الإنسان مع ربه، وألا يفكر في مكاسب الدنيا، وأن يلغي الدنيا في ذاته، يلغي من حسابه البهارج، والاغراءات والضغط والارهاب، وأن يتوكل على الله في طريق الجهاد، حينها يكون الواحد بألف، والواحدة أمة.

سمات الحركة الرسالية

قال الله سبحانه:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ
فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ
بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ *
أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾^(١).

تتميز الحركة الرسالية عن الحركات السياسية بميزات عديدة

من ضمنها:

١ - سورة المائدة: ٤٨ - ٥٠.

أولاً: الاقتداء بحياة الانبياء والائمة عليهم السلام

فهي التي تتبع نهج الانبياء والائمة والصديقين، وتحمل رسالات السماء هدفاً، وشرائع الله منهاجاً، بعكس الحركات السياسية التي قد تهدف بعض الغايات النبيلة وليست كلها، وقد تتبع منهاج سليمة تشوبها بمناهج شيطانية خاطئة.

ونحن الذين نصبو الى الانضواء تحت مظلة الرسالات السماوية، والعمل في سبيل تحكيم شرائع الله واحكامه، لا بد ان نكون حذرين وواعين وعارفين ما يميزنا عن سائر التوجهات، فلا نُفتن بتوجهات الآخرين ولا نقع في اخطائهم، ولا نقوم بردود افعال تجاه تصرفاتهم، ولا ننسى رسالتنا ورساليتنا أثناء تموجات صراعنا الميرير مع اعداء الرسالة، ولا ننسى ربنا ورضوانه وجنانه خلال ابتلائنا بامتحان عسير في سبيله، ولا نهزم عند حلول منتصف الطريق، ولا نفقد صبرنا ومعدن استقامتنا.

من أجل كل ذلك، لا بد أن نكون كذلك، ونسأل المرة بعد الاخرى ما هي ميزات الحركة الرسالية؟ وما هي سمات الانبياء والائمة؟ وكيف عاشوا؟ وكيف تحركوا؟ وكيف واجهوا المشاكل والصعاب؟

إن حياة الرسول الأعظم والائمة الأطهار هي أكثر أهمية وأعظم شأنًا من اقوالهم، لأن الاقوال قد يشترك فيها بعضنا الآخرون، وكثير أولئك الذين يصعدون المنابر ويتشدقون بقول:

(يا عباد الله اتقوا الله) ولكن القليل منهم يثبت في المواقف الصعبة. إنَّ سيرة الرسول الأعظم والائمة المعصومين أكثر أهمية من اقوالهم، ولا سيما اذا عرفنا حياتهم بصورة عامة، وجعلناها في اطار عام كمثال يُحتذى ومنبع ينبض بالحياة والفاعلية. فمرة تسمع قصة من شخص وتستوحي منها عبرة، قد تقبلها أو لا تقبلها، لأنَّ «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا حَيْثُ وَجَدَهَا» كما روي عن رسول الله ﷺ^(١)، ولكن في بعض الاحيان، تدرس سيرة رجل، وتعتبره قدوة مطاعاً متَّبِعاً، وتسخر نفسك له شيعياً تابعاً مقلداً، فستان بين ذا وذاك، فالقصة قطعة صغيرة من حياة شخص، بينما السيرة هي كل حياته، ولك الحق أن تتبع القصة أو لا تتبعها، ولكن ليس لك الحق في ترك سيرة نبيك وائمتك.

والسيرة ينبغي أن تضعها جميعاً - من ألفها الى يائها - في خلدك، ماذا يعني ذلك؟ يعني انك تدرس حياة الرسول الاكرم محمد ﷺ بحيث تتجسّد لك صورته في كل لحظة وعند كل موقف ومع كل استفهام، كالامام علي عليه السلام الذي كان يتبع رسول الله ويصف اتّباعه ذلك كاتّباع الفصيل لأمه، والفصيل حين يتبع أمه يضع رجله في موقع رجلها، ويقتفي اثرها خطوة فخطوة، والامام علي عليه السلام وضع سيرة رسول الله ﷺ الوضوء مثلاً لحرركاته، ويتبعها خطوة فخطوة، شبراً فشبراً، وفي كل منعطف وصراع، وسواء في الحرب أو السلم، في الليل أو النهار.

١ - عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٨١.

المنهج السليم تجاه السيرة

هناك منهجان ازاء سيرة النبي ﷺ والائمة عليهما السلام:

الاول: قراءة ضحلة عن سيرتهم والذي سيؤدي بدوره الى معرفة صورة متناثرة وباهتة عن حياة النبي والائمة، وهذا لا يجدي شيئاً.

الثاني: وضع سيرة النبي والائمة في قطب الرحي، ليس ذلك فحسب، وإنما حفظها والتمعن فيها، بحيث تتحول سيرة الرسول الى تمثال امام عينه، وفي هذه الحالة وبصورة آتية يتبع سيرة الرسول، وبلا تكلف.

فمثلاً: فاطمة الزهراء الصديقة الطاهرة، حجة الله على خلقه، المعصومة عن الزلل، والمقطومة عن الخلل، التي قال عنها رسول الله ﷺ: «إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ نُورٌ عَيْنِي، وَثَمَرَةُ فُؤَادِي، يَسُوءُنِي مَا سَاءَ هَا، وَيَسْرُنِي مَا سَرَّهَا»^(١).

وقال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ لِيْغْضَبُ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»^(٢).

ماذا تعرف عنها وعن سيرتها؟ وماذا تعي من مواقفها واقوالها ومن خطبتها بعد حياة الرسول لنساء الانصار؟

ما يميز الحركة الرسالية في البدء، ان الفرد يتقوّل فيها بقلب الصديقين، والنبين، والائمة، وتُصاغ شخصيته من جديد، فاذا

١- بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٢٤.

٢- بحار الانوار، ج ٤٣، ص ١٩.

مشى نظرت الى مشيته التي تحكي لك مشية رسول الله والائمة، واذا تكلم فكلما ته، ونبرات صوته، ومضامين حديثه تحكي لك عن كلمات الائمة، فهو يحكي نوراً ويرسم دستور الحياة، واذا اتخذ موقفاً عكس موقفه موقف النبين والصديقين، وهذه هي القضية الجذرية حيث لا يُسمّى الانسان شيعياً او من مدرسة الائمة عليه السلام حينما يمدح النبي والائمة، وإنما حين يشايح لا حين يبايع، والمشايعه هي التي تعني الاتباع خطوة فخطوة.

ثانياً: تغيير جذري في عمق الانسان والحياة

فالتغيير الظاهري لا يجني إلا فائدة ظاهرية، والتغيير الجذري يصنع فائدة جذرية، أما الاكتفاء بتغيير الظاهر لكسب الفائدة الحقيقية فلا يكون اسلوباً ناجحاً.

الانسان الرسالي يطرح - دائماً - امام نفسه هذا السؤال: هل تغير عمقي فعلاً؟ ام لا زالت سلوكياتي تراودني؟

بامكان الانسان اطالة لحيته، ووضع العمامة على راسه، وارتداء جبة فضفاضة نظيفة، ولكن تغيير القلب ليس عملاً بسيطاً. اضرب لكم مثلاً، يقول الله سبحانه:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١).

١ - سورة الفرقان: ٦٣.

هل تريد ان تطبق هذه الآية؟ هل تستطيع ان تمشي على الارض دون ان تحس بصوت خطواتك عليها، ودون أن تكون ثقيلاً على الآخرين؟ بعكس بعض الناس الذين يمشون على الارض ويحملون الآخرين الثقل وكأنهم الجبل، فيأتي الى البيت ويصرخ: اين طعامي وفراشي؟ ولماذا لم تنظفوا وترتبوا سريري؟ فيصبح ثقيلاً حتى على زوجته، ويحاول فرض نفسه على اولاده فرضاً وكأنه طاغوتهم، كل ذلك لإثبات وجوده. واشباه هذا يكونون ثقلًا على الارض، بعكس عباد الرحمن الذين يتسمون بالخفة.

ومن صفات المؤمن في آخر الزمان انه نومة، واذا دخل في مجلس لا يفكر اين يجلس.

والمؤمن لا يفتش عن الحقوق وانما يسعى من اجل الواجبات الملقاة على كاهله.

يجيب لوم الجاهلين عليه، وسبهم، وهجرانهم بالسلام: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

ومن صفاتهم أيضاً:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾^(١).

أنت حينما أصبحت رجلاً رسالياً، هل فكرت أن تبيت لربك ولو ليلة واحدة ساجداً وقائماً؟ واساساً هل حدثت نفسك بذلك؟ إنَّ هناك بوناً شاسعاً بين التمنيات الخيالية والتطلعات

١- سورة الفرقان: ٦٤.

الحقيقية، لأنَّ التمني حلم والتطلع عمل وسعي واصرار لتحقيق الهدف، وتغيير الذات ليس تمنياً، إنما هو هدف عظيم، لذلك فإنَّ الجذر يجب ان يتغير، وليس القشور.

ثالثاً: منطقان متضادان

هناك منطقان: منطق القوة، ومنطق الحق، او بتعبير آخر: قوة المنطق ومنطق القوة.

نحن نقول لأعداء الأمة: إنَّ علاقتكم بالمسلمين علاقة شاذة، لأنكم تريدون فرض منطق القوة علينا.

هذا كلام صحيح، ولكننا في بيوتنا نفرض منطق القوة على ازواجنا واولادنا، انطلاقاً من فرضه على الاضعف.

فلا بد إذن أن نقول الحق مع بعضنا ثم نطلبه من العدو، أما إذا لم نقل الحق مع بعضنا فهل سننتصر؟ وهل الانتصار هو تحقيق الطموحات بالتمنيات والظنون؟!

المؤمن يتجه نحو تطبيع الحق ودرء منطق القوة، ووفق ذلك فانك تراه اذا تسنَّم منصباً وزارياً فانه يعتبره اكبر امتحانٍ له، والحديث يقول:

«الْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرَّجَالِ»^(١).

المؤمن لا يتجبر ولا يتكبر بل ينشد الحق ولو على نفسه:

١ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، ص ٥٥٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(١).

المؤمن يشهد ولو على نفسه، وتكون علاقته على ضوء منطق الحق مع كل الطبقات الاجتماعية، وكذلك علاقة المجتمعات مع بعضها. أما إذا استندت العلاقات على مبدأ القوة فان القوى الشيطانية تأكلنا جميعاً لأنها هي الاقوى.

القرآن الحكيم يقول:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٢).

أي إن الله بإمكانه ان يجعل جميع البشر في مستوى واحد، مثلما جعل الطيور والاسماك، ولكن الانسان يختلف لأن له فكراً واجتهاداً، وقد خلق الله الانسان متفاوتاً من شخص لآخر لكي يتسابقوا فيما بينهم من أجل الخير والتقدم. يقول القرآن: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي لا تعمل على ازالة وهزيمة الطرف الاخر وإنما اصنع

١ - سورة النساء: ١٣٥.

٢ - سورة المائدة: ٤٨.

المزيد من الخير.

أما المنطق القائم على إزالة الطرف الآخر والمستند على أساس التنافس في أمور الدنيا فهو مهزوم، لأنه منطق شيطاني أرعن. وبدلاً من منطق الهدم علينا أن نوسع قلوبنا لكي تسع الجميع حتى الأعداء:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

فالامام علي عليه السلام في صفين يبكي على اعدائه، وكذلك الامام الحسين في كربلاء، لأن أعداءهما سيدخلون النار بسبب مواقفهم الخاطئة منهما. اما نحن فإن قلوبنا لا تسع حتى للمؤمنين، ليس ذلك فقط وإنما نحسدهم ونحقد عليهم، مع العلم أن الواحد منا حينما لا يحب المؤمنين فانه لا يحب الله، لان القلب الذي يحب الله لا يمكن ان يكره مؤمناً، لانه من عباد الله، فكيف يؤمن بالله ويكفر بعبدته؟!

علينا ان نصفى قلوبنا من اضعانها وسليياتها ورذائلها حتى لو كان المجتمع ملوثاً بالمرذوعات السلبية للصفات الخاطئة، كالغيبة والتهمة والنميمة. لأن اشباه هذه الصفات لن توصلنا الى اهدافنا السامية، وانما تكرر روح التنازع، واشاعة الفاحشة والسلبيات في المجتمع، ونشوء التجسس على المؤمنين لتشويه سمعتهم في المجتمع، واساس كل ذلك نابع من الامراض التي اصاب قلوبنا،

١ - سورة الأنبياء: ١٠٧.

أما بالنسبة للتعبير عن الرأي فكلُّ له رأيه، ويستطيع ان يعمل به بكل صراحة، ولكن لا يُسمح بالتخطيط للمؤامرات لأنها هي التي تكرر روح التنازع والصراع، والتي هي ليست مسألة بسيطة، لأنَّ الوحدة والتعاون مقياس لنمو الامة وحضارتها، وكما قال تعالى:

﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢).

ولكن هذه الوحدة ليست بسيطة وظاهرية، أو مؤتمرات أو جلسات أو تحالفات، وانما هي في القلب، حيث يدعو المؤمن لإخوانه ويسأل الله أن يطهر قلبه من كل غلٍّ:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

فدعو الله بأن لا يجعل في قلبك غلاً - ولو بسيطاً - إلا وانتزعه من قلبك، حتى تصبحوا اخواناً على سرر متقابلين.

حضارة الجنة يجب أن نصنعها في الدنيا، لأنَّ من يكون في الدنيا كما اراد الله يصبح في الجنة كما وعد الله. أما أن اكون في الدنيا ملطخاً بالغل والنزاع والصراع، واريد الفوز بالجنة، فان ذلك لا يكون.

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

١- سورة آل عمران: ١٠٣.

٢- سورة المائدة: ٢.

٣- سورة الحشر: ١٠.

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴿١﴾.

أي استبقوا البناء والعمل الإيجابي، اما توزيع المنشورات ضد الآخرين فانه يكشف ضيق الافق لأمثال هذه الفئات.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٢).

فالانسان قد يستطيع اخفاء عيوبه عن الآخرين عبر التغطية والاساليب الخاصة، ولكن هل تخفى هذه العيوب عن الله؟

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٣).

ان الحركات التي تتبع الشرق والغرب في طريقتهم دون تحييص وتمييز سوف تقع في شرك التغريب، وبالتالي تظهر نتائجها السلبية في المستقبل، لان الشرق والغرب يملكون اساليب غير مشروعة للسيطرة على بعضهم، وهذا لا يتوافق وديننا الحنيف.

١ - سورة المائدة: ٤٨ .

٢ - سورة المائدة: ٤٨ .

٣ - سورة المائدة: ٤٨ .

الايمان منطلق الحركة الرسالية

قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى
الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

إنَّ الحركة الرسالية قائمة على اساس الايمان بالغيب، ليس لأنها لن تنتصر من دون الايمان به، بل لأنَّ المعاد حقيقة قائمة إن لم نؤمن بها ولم نعتقد بها اعتقاداً حقيقياً، فسوف نصطدم بها دون ان نكون قد تسلحنا بسلاح يكفيننا شرور ذلك اليوم وبلاياه.

روي أنه خرج رسول الله ﷺ بعد أن أمره الله تعالى بأن يصدع بالرسالة، خرج حتى صعد الصفا فهتف: وا صباحاه! [وكان هذا النداء يُنادى به كلما داهم القوم خطر عظيم].

فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد.

فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان! يا بني فلان! يا بني عبد مناف! يا بني عبد المطلب! أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكتتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا.

قال: «فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

فقال أبو لهب: تبّاً لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١).

لماذا نصدّق مَنْ يدخل علينا ويعلن بأنّ هناك قبلة موقوتة مثلاً او لغماً مزروعاً خارج القاعة التي نجلس فيها تصديقاً عفويّاً، ولا نصدق القرآن الكريم - وهو كتاب الله الذي اليه مرجعنا ومعادنا - وهو يحذّرنا من عذاب الآخرة؟

هل نعتقد بأن القبلة خارج القاعة أقوى وأشدّ عذاباً من نار جهنم؟

لقد جاء في الحديث الشريف أنّ النبي ﷺ قال لجبرئيل - في حديث - : «أَخْبِرْنِي عَنِ النَّارِ يَا جَبْرَائِيلُ حِينَ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى».

فَقَالَ: «إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ فَاحْمَرَّتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ فَابْيَضَّتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ فَاسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ لَا يُضِيءُ جَمْرُهَا، وَلَا يَنْطَفِئُ لَهَبُهَا. وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَوْ أَنَّ مِثْلَ خَرَقِ إِبْرَةٍ خَرَجَ مِنْهَا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَخْتَرَقُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ جَهَنَّمَ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهَا لَهْلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعاً حِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ لِمَا يَرَوْنَ بِهِ، وَلَوْ أَنَّ ذِرَاعاً مِنَ السَّلْسِلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وُضِعَ عَلَى جَمِيعِ جِبَالِ الدُّنْيَا لَذَابَتْ عَنْ آخِرِهَا»^(٢).

١ - السنن الكبرى للبيهقي، ج ٩، ص ٧.

٢ - بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٠٥.

ماذا يعني: (لَوْ أَنَّ ذِرَاعًا مِنَ السُّلْسِلَةِ الَّتِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَضِعَ عَلَى جَمِيعِ جِبَالِ الدُّنْيَا لَذَابَتْ عَنْ آخِرِهَا)؟

حينما اكتشف البشر اليوم على ضعفه وقلة علمه القنبلة الهيدروجينية - التي تستطيع ان تحول مدناً كاملة بما فيها من عمارات ومنشآت وسكان في مدة لا تتجاوز ١٦ / ١ من الثانية الى مجرد سحابة من الدخان - بدأ يصدق هذه الاحاديث التي قيلت منذ حوالي اربعة عشر قرناً، وقبل ان يتطور العلم الى المستوى الفعلي. ونار جهنم اشد حرّاً من القنابل الهيدروجينية والنووية.

إنَّ هذه القنابل حينما تتفجر في مكانٍ ما يندم الناس الموجودون في لحظات ويتهي امرهم، اما في جهنم فهم مخلّدون، كما يقول تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾^(١).

الموازنة الدقيقة بين الخوف والرجاء

لا يمكن لأحد أن يتنبأ بأهل النار او الجنة، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(٢).

وإنما علينا نحن البشر أن نضع هذا الاحتمال دائماً نصب أعيننا، فنكون بين الرجاء والخوف.

١ - سورة الزخرف: ٧٧.

٢ - سورة الأعراف: ١٧٩.

يقول الامام علي ابن الحسين عليه السلام:

«لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كِتَابًا أَنَّهُ مُعَذِّبٌ رَجُلًا وَاحِدًا لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَهُ، وَأَنَّهُ رَاحِمٌ رَجُلًا وَاحِدًا لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَهُ، أَوْ أَنَّهُ مُعَذِّبِي لَا مُحَالَةً مَا أَرَدْتُ إِلَّا اجْتِهَادًا لئَلَّا أَرْجِعَ إِلَى نَفْسِي بِلَائِمَةٍ»^(١).

هكذا ينبغي أن نخاف الله ونرجوه، لا نخافه خوفاً يقطع أملنا في رحمته، ولا نرجوه رجاءً يؤدي بنا الى الأمن من مكروه.

إنَّ الدنيا قنطرة الآخرة، وإنَّ الحياة الدنيا مهما كانت طويلة فإنها منتهية لا محالة، والشيء الذي ينتهي ويكون له اجل فهو ليس طويلاً، اما الشيء الذي ليس له نهاية فهو الآخرة.

ومن الخطأ الفضيع أن تصور الدنيا نهاية المطاف بالنسبة الى الانسان. فالانسان قبل الدنيا كان يعيش في عالم الاصلاب، حيث كان ينتقل من صلب الى آخر، كما تقرر ذلك الايات القرآنية والاحاديث الشريفة.

إنَّ هذا الانسان الطويل العريض - الذي قد يبلغ طوله ١٧٥ سم، ويزن ثمانين كيلو جراماً - كان في يوم من الايام جينة صغيرة، لا تستطيع العين المجردة أن تراها إلا عبر المجاهر القوية.

وقبل أن يكون جينة كان في عالم الذر، وقبل ذلك في عالم الارواح. هذا من جهة الماضي، اما من جهة المستقبل، فإنه سيعيش طويلاً في القبر، وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة

١- شرح نهج البلاغة [لابن أبي الحديد]، ج ١٥، ص ١٦٧.

من حفر النيران.

وعندما يخرج من القبر سيقف خمسين ألف سنة للحساب في المحكمة الالهية، وبعد ذلك يصل الى المنزل الاخير والمستقر النهائي: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١)، حيث يعيش هناك خالداً في الجنان لا يرى فيها مكروهاً ولا يحس بألم، يجتمع فيها بصورة مستمرة مع الشهداء والصديقين والذين انعم الله عليهم، أو انه لا قدر الله يعيش مع الوان العقاب والعذاب في نارٍ سجّرها خالقها لغضبه.

ولذلك فإنّ الانسان المؤمن يعيش في الدنيا سعيداً حتى لو سُجِنَ وَعُذِّبَ وَأُحْرِقَ جسده وقُطِّعَت اعضاءه. لماذا؟ لأنّ هذه الشدائد التي يمرُّ بها ستتحول بالتالي الى نعيم بالنسبة اليه، بينما المنافق والكافر والمجرم على العكس من ذلك تماماً.

عوامل انتصار النهضة

قال الله العزيز في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

نماذج كثيرة في التاريخ تشهد بأن بعض الحركات الاسلامية في التاريخ، قد انهزمت بالرغم من عطائها الكثير، وعملها الدائب، وتضحياتها الكبيرة، بينما حالف النجاح حركات اخرى اقل من تلك عطاءً، واقل منها تضحية، لذلك يطرح السؤال التالي:

لماذا فشلت تلك الحركات رغم بطولاتها وتضحياتها الجسام، بينما انتصرت ما دونها بالرغم من ضآلة حجمها الكفاحي؟

في الواقع إنَّ مفهومَي النصر والهزيمة يرتكزان الى أسس معينة يمكن أن نعتبرها عوامل. وهذه لا تستطيع ان تؤدي دورها المطلوب منفرداً اذا توخت النصر كهدف رئيسي لها، بل يجب ان تجتمع جميع العوامل في وقت واحد وتعمل بتناسق وفق خطة مدروسة لتبلغ في النتيجة الهدف المطلوب، تماماً مثل الطائرة التي لا

١ - سورة الأنبياء: ٩٢.

تستطيع أن تحلّق في الجو إلا اذا عملت جميع اجهزتها في آن واحد، وفق نظام مخصوص، أما لو كان هناك بعض الاجهزة عاطلاً عن العمل والبعض الاخر سليماً، فانها من المستحيل ان تضمن سلامة طيرانها أو التحليق في الجو أصلاً.

إذاً فلو كانت أيّة حركة تغييرية، أو أية أمّة ناهضة تقدم التضحيات في مرحلة زمنية، ثم تقوم في وقت آخر بالشروع لإتمام وإكمال سائر عوامل تحقيق النصر، فإنّ الحالة هذه لا يمكن أن تساهم في بلوغ مقاصد تلك الحركة أو الأمة بنجاح، وإنما اجتماع وتنسيق واستثمار كل العوامل في آن واحد كفيل بتحقيق النجاح المطلوب.

ومن العوامل الاساسية في هذا الصدد هو عامل البصيرة، الذي يعني أن تكون الممارسات النهضوية وسائر الأنشطة التغييرية تتم حسب عقلية علمية دقيقة ومنضبطة، فحركة الرسول الاعظم محمد ﷺ التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً كانت بدرجة عالية من الدقة والاتقان، خاصة اذا تتبعنا بداياتها من اعتماد السرية لمدة ثلاث سنوات من اجل ان ينمو الوليد المبارك ويأخذ سيره التصاعدي في الشعب والاتساع في سبيل تكوين بداية صحيحة وسليمة قادرة على أن تكون عامل ضغط وقوة في المستقبل، وهذا ما حصل بالفعل، مما أتاح كثيراً للنبي المبارك تلك الطاقات العملاقة لأن تؤدي دورها الفعال - بعدئذ - بدلاً

من أن تتعرض لغاية الموت القاصمة في بداية نشر الدعوة، مع كثافة قوة العدو.

لقد كان للتخطيط الذكي الحاذق، ولدقة دوره الريادي في تحقيق اهداف الرسالة الكبرى الدور الفاعل في مجاوزة كل حركات التاريخ قوةً واتساعاً واصالةً، وبديهي إن مبررات هذا التفوق الباهر لحركة الرسول الكريم، وتجاوزها الظرف المكاني والزمني حتى قيام الساعة يرجع الى انها كانت على بصيرة ثاقبة في التحرك، فقد كانت افعال الرسول تتم وفق خطة عملاقة وبُعد نظر متكامل، فحينما كان يأمر اصحابه بقول كلمة (لا إله إلا الله) كان هدفه الاساسي ان يكون شعاراً خالداً، فشهادة (لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله) كلمات رمزية لهدفية تغيير الواقع الجاهلي، الى جانب الاهداف الاخرى كإقامة الصلاة والزكاة والصيام والجهاد... الى غير ذلك من اسس تقويم الشخصية الانسانية على الفضيلة والكمال ولبناء الحضارة الاسلامية.

هذا هو التدرُّج في الرسالة، وهذا مستمد من تدرُّج الله سبحانه وتعالى في رسالته، حيث كان يُنزل تشريعاته المختلفة كل سنة، حتى اكتملت تشريعات الاسلام في ثلاث وعشرين عاماً.

وحينما نستهدف دوافع الانطلاق في تحديد مسار واقعنا مع حاضرننا المستقبلي على امانة الرسالة، نكون قد اوضحنا سبل تجاوز

التأخر الفاضح في التقصير والقصور نحو دفع عجلة الاسلام الى الامام، ولعل ما حدث في ايران شاهد حي على ذلك.

لقد استفاد زعيم الثورة الامام الخميني (رحمه الله) واقارانه من العلماء العاملين، من اساليب حركة الرسول الكريم، تجربة وغنى جهادياً في انتصار الثورة الاسلامية، كما حدث حينما أضرب عمال النفط عن العمل ابان الاحداث المتأزمة في اواخر حكم الشاه المقبور عام ١٩٨٧ حيث كان بوسع قادة الثورة ان يشعلوا الثورة في ذلك اليوم ويمنعوا تصدير النفط، ولكنهم لم يفعلوا، ولو فعلوا ما كانت الثورة تنجح، لقد انتظر الامام حتى نضجت ظروف ومستلزمات الثورة في كل قطاعات الشعب وعلى مختلف الاصعدة، واقتحمت الروح النضالية التمردية كل بيت ومدرسة، ومن بين البيوت، مساكن عمال النفط في خوزستان جنوب البلاد، وهؤلاء كانوا ابعد الناس عن اجواء حركة التمرد الجماهيري ضد السلطات انذاك.

ان التخطيط الناجح والتصعيد الجماهيري لأساليب المقاومة الصلبة، واندفاع علماء الدين بحماس منقطع النظير ومحاولاتهم الموفقة في اصفاء الصفة الاسلامية على تحركات الشعب ادى بعد مرور فترة زمنية قصيرة الى أن يُجسم الموقف لصالح الامة، وتغيرت الكثير من المقاييس لدى المضربين في كافة الدوائر والمؤسسات، وكذا لدى فئات الشعب التي كانت تتخذ موقف اللامبالاة

من الاحداث الجارية، وهذا مما سهل امتصاص حالات التذمر المحتملة في حالة نضوب الاقتصاد قبال طلبات ورغبات الناس، عند ذلك تم قطع شريان النفط عن الغرب.

لقد كانت تكمن في مطاوي بيانات الامام وعلماء الاسلام ابان الثورة، بصيرة سياسية كاملة تقريباً لأوضاع الساحة والظروف السياسية المحيطة بها، وبعد الانتصار الساحق لم يكن القائد المسلم ان يطرح جم برامجه المستندة الى تعاليم الدين ورسالته في وقت غير مناسب، لكنه المح الى جانب منها مهم عندما قال للشعب: ايها الناس قولوا (نعم للجمهورية الاسلامية لا شرقية لا غربية) وعندها توجه الى صناديق الاقتراع (٢٢, ٠٠٠, ٠٠٠) مليون انسان ايراني ليعطوا موافقتهم للجمهورية الاسلامية.

وهناك مثال آخر، لقد كانت بعض النساء في الدوائر الرسمية وغيرها في الازقة والشوارع غير محجبات باللباس الاسلامي الشرعي، ولم يتعرض المسؤولون في اوائل الثورة بجدية إلزامية لهذه المسألة، لكن بعد ان اوضحوا مفسد هذه الرذيلة الجاهلية، امروا النساء بارتداء الحجاب الاسلامي.

وهكذا بالنسبة الى الكثير من القضايا والموضوعات التي كانت حصيلة نظام جاهلي رأسمالي ساهم في نشر المفسد والرذيلة وتدجينها في اوساط الشعب وتغيير واقعها الاسلامي الى آخر

صليبي، أو مماثل له، ولا نقول جزمًا بأن كافة الاجراءات والسياسات المتخذة بعد قيام الجمهورية، كان حليفها النجاح مئة بالمئة، ولا ان ممارسات القائمين في السلطة تحمل نفس النسبة من الصحة، وانما الامر نسبي وموضوعي فالانسان خطاء مذنب لا ريب، لكن المحاولات والجهود المشكورة قد ساهمت الى حد ما في ان تحتمر الافكار والمبادئ الاسلامية بين طبقات الشعب، وان تتفاعل فصائله مع الثورة اكثر فاكثر.

ما تقدم آنفاً دليل يؤكد أهمية عامل النضوج والوعي السياسي أو البصيرة، وانه مقوم أساسي لنجاح أية حركة تتطلع للنصر، وحتى اذا ما وصلت الى قيادة الجماهير، تكون كفوءة وقادرة بالفعل على مناورة ألاعب السياسة الدولية بأصدق منها تكتيكاً وممارسةً، خاصة ونحن في وقت أشهر القوي في عالم الغاب سيفه على الضعيف.

ولهذا العنصر الحيوي مزايا عديدة منها:

١- المعرفة الكاملة بالظروف الموضوعية، والتعامل معها بإلمام تام بكل الجزئيات لما يخدم القضية.

٢- إلهاب الحساس الجماهيري وتفجير الطاقات الكامنة وتوظيفها لمسيرة الجهاد.

٣- تنسيق الواجبات المعهودة الى الطلائع، لاختزال مسيرة الشقاء والالام نحو النصر. وبهذه المناسبة نود التطرق الى جانبٍ قيّم

يخص الثورة الاسلامية في العراق، فالشعب قدم ويقدم التضحيات السخية، من خيرة شبابه وابنائهم، ولكن لم يحصد - لحد الان - ثمار اتعابه وشهدائه، بل العكس كما هو ظاهر، يشهد انحساراً نوعياً في اساليب النضال، وتكيفاً ملموساً مع الوضع الشاذ، بينما من الجانب الاخر، جانب الطاغوت الحاكم، تشتد اعمال القتل والتعذيب، والنهب الحكومي والاعتداء على المقدسات والاعراض، وذبح الكرامة في حجر بلد الإباء، فلماذا لم يشهد الواقع لحد الان ردة الفعل الجماهيرية؟

نحن بحاجة ماسة الى العودة الى الوراثة والتذكير ببعض الحوادث للعبرة والاقتداء ليس الا. التاريخ يذكر ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في حرب صفين سنة ٣٧ للهجرة التي خاضها ضد عدو الله ورسوله الطليق ابن الطليق معاوية بن ابي سفيان عليه غضب الله تعالى، حينما يفقد عمار بن ياسر ذلك الصحابي الجليل الذي شارك في قتله ابو العادية الغزاري وابن جون السكسكي، لعنهما الله تعالى، يبكي بكاء الثكلى بولدها، ويتمنى الموت بعده.

هذه الواقعة تشير الى معان كبيرة منها انه حينما يفقد الانسان اخوانه، وتفقد الامة ابطالها، فانها لا تساوي شيئاً. وعليه ان مكانة الامة ومنزلتها تكون بقدر ابطالها، وبحجم مناضليها وطلائعها، اما اذا انتهى دور الفصائل الرائدة، وانعدم الابطال الكفاء،

ستكون الجماهير مسلووبة الارادة، لا تستطيع ان تعمل لنفسها خيراً، ولأجل ذلك حري بالشعب العراقي ان يأخذ الدروس والعبر، ويتعظ بتجارب السلف الصالح، وان يوظفها لما يخدم جهاده الطويل وان تكون لديه الرؤية العلمية الثورية للمحيط القائم ووقائعه، وان لا ينطلق في ممارساته قبل ان تكتمل الرؤية، وتنضج الظروف، يجب ان ينتهز كل فرصة لإنضاج الفكر الرسالي المجاهد، لقد اضاع مع الاسف، عدة فرص، فهو لم ينتهز واقع انتصار الثورة الاسلامية في ايران، لأخذ المبادرة والنهوض في اسقاط حكم البعث الكافر، اذ تقاعس قاداته، وانتابهم خوف التجرد من المصالح والتوافه الدنيوية، بينما من الطرف الاخر، كشرت السلطة الحاكمة عن انيابها وتوغلت في الاجرام واذلال ابناء الرافدين.

وايضاً مرة اخرى، حينما نشبت الحرب العراقية الايرانية، كان بإمكان الشعب ان يستثمر المناخ العام لصالحه، وان يستغل نقاط الضعف لدى السلطة في ان يثور، ان نجاح الثورة ابان الحرب كانت قادرة على ان تغير خارطة العراق السياسية والمنطقة لما يخدم الاسلام ومبادئه. لكن لم يكن شيئاً من هذا القبيل. ان هذه الفرص وغيرها انها هي رحمة من الخالق العظيم جل وعلا:

«إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»^(١).

١ - بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٢١. عن النبي ﷺ.

كان ينبغي للانسان العامل ان يستقبل هذه الرحمة أو البركة
في ذات الفترة التي اعطيت فيها اما اذا تركها وأهملها، فانها ذاهبة،
لذلك يجب انتهاز الفرص.



الفصل الثاني:

استراتيجيات الحركة الرسالية

- ١- دور الجماهير في استقلال حركات التحرر
- ٢- الحركة الاسلامية والمبادرات الرسالية
- ٣- نعم.. لحركات الاصطدام، لا.. لحركات الاستسلام
- ٤- عوامل الاستمرار في النهضة الاسلامية

دور الجماهير في استقلال حركات التحرر

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

إنَّ حوادث الزمن كالنهر يدفع بعضه بعضاً، ولا يمكننا أن نقف عند لحظة زمنية معينة ونتصور أنَّ الاحداث قد اتخذت شكلها

النهائي ولن تأتي وراءها لحظة جديدة تحمل متغيرات جديدة!
إنَّ الحوادث تتسلسل، والزمن يجري، والانسان هو الانسان.
وقد تكون هناك ظاهرة سياسية او عسكرية او غير ذلك ذات أثر كبير في المستقبل إلا أنَّ ذلك لا يلغي أبداً دور الانسان في إمكانية

١- سورة الحج: ٣٨-٤١.

الاستفادة من العوامل التي تساعد في صنع ظاهرة جديدة تخلق واقعاً مختلفاً كلياً عما سبقه.

ولو أن ظاهرة كبرى أُلغت دور الانسان في التاريخ لكانت هي حادثة الطوفان الشهيرة، وانتهاء الانسان الكافر من فوق البسيطة، ولكان ينبغي أن يظل الناس بعد الطوفان مؤمنين حتى الآن، لأن الله سبحانه في تلك الحادثة أغرق كل ذي نفس كان فوق البسيطة ولم يبق إلا المؤمنين الذين أنجاهم بالسفينة مع نبيه نوح عليه السلام. ولكن الحياة من بعد الطوفان كما كانت قبله، ظلت تدور حول ذات السنن الإلهية، وأبرزها سنة الابتلاء والاختبار للبشر في جوٍّ من الحرية والقدرة على الاختيار.

وكنموذج معاصر نلاحظ أن الاحتلال الاسرائيلي الغاشم للبنان^(١)، والمحاولات الجادة لتغيير معالم هذا البلد وفرض حكومة عميلة للكيان الصهيوني على شعبه، وخنق هذه البؤرة الحضارية المتطورة في الشرق الأوسط إنما هو من كبريات الظواهر التاريخية في عصرنا الراهن، ولكنه ليس بالضرورة الظاهرة النهائية، إذ أنه لن يستطيع أن يسلب الانسان المسلم في لبنان وسائر البلاد الاسلامية إرادته وحرية وقدرته على صنع واقع جديد انطلاقاً من قول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ

١ - إشارة الى الاحتلال الاسرائيلي للبنان في السبعينات من القرن العشرين.

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلَوْا تَتَبَرَّكُوا ﴿١﴾.

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (٢).

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٣).

ويستطيع الانسان أن يقف في لحظة تاريخية أمام حوادث الزمن ويغيّر مجراها، فما دام قائماً على امره وعازماً على أن يصنع شيئاً فإنه يستطيع حتماً، لأن الله سبحانه وتعالى وهب له المشيئة:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٤).

ثم جعل الحياة مسخرة لهذه المشيئة، ألم يأت الحديث الشريف ليقول:

«خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا، ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ» (٥).

أو لم يسخر الله سبحانه وتعالى للانسان - بالاضافة الى الارض التي يعيش عليها - كل ما في السماء من اجرام:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (٦).

١- سورة الإسراء: ٧.

٢- سورة النجم: ٣٩-٤٠.

٣- سورة الرعد: ١١.

٤- سورة الإنسان: ٣٠.

٥- الكافي، ج ١، ص ١١٠، عن الامام الصادق عليه السلام.

٦- سورة النحل: ١٢.

لقد أودع الله فيك أيها الانسان جوهره، هي الاعظم في الكون، هي جوهره المشيئة، أي الارادة وحرية الاختيار وجعل العقل مسيطراً عليها وموجهاً لها.

إرادة المشيئة

انك أيها الانسان تستطيع أن تصنع ما تشاء إذا كانت مشيئتك حقيقية وجادة. إن الذين يجلسون ويقولون لقد انتهى لبنان وانتهت القضية الفلسطينية، وانتهى كل شيء إنما هم المنتهون.

إن الحياة طازجة أبداً لمن أراد أن يعيشها. لقد ظل اليهود طوال أربعة آلاف عام ينتحبون ويرثون أنفسهم ويقولون انتهينا، فقد ظلمنا وقتلنا وشردنا واضطهدنا، ثم جاء هرترزل وقال: من الآن نبدأ لنصنع دولة! فقليل له: لقد مر علينا أربعة آلاف عام ولم نستطع ان نبني لأنفسنا كياناً، قال: ان هناك آية في قرآن محمد ﷺ تقول: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾^(١).

إن هذه الآية تعلمني بأننا لو أردنا لاستطعنا. وأرادوا واستطاعوا! والقرآن قرآننا، والآية نزلت علينا بالرغم من أنها نزلت فيهم - أي في اليهود - ولذلك فنحن كمسلمين لا يجوز لنا أن نقول: انتهى كل شيء.

إن من يقول: إنتهى يكون هو الذي قد انتهى فقط. أما الحياة

١ - سورة الإسراء: ٧.

فهي جارية كالنهر، ولكن لا يعني ذلك اننا نستطيع أن نستعيد لبنان بنفس الجهد الذي كنا نستطيع به أن نحافظ عليه، ولا يعني اننا نستطيع أن ندعم القضية الفلسطينية بذات القوة، فقد تأخرنا كثيراً بعد أن حطموا جانباً من قدرتنا وأخروا مسيرتنا ووضعوا عقبات جديدة في طريقنا، ولكن كل ذلك لا يعني انهم أنهونا، أو انهم سلبوا إرادتنا، كما أن ذلك لا يعني اننا نستطيع أن نحرر لبنان من عملاء امريكا واسرائيل عن طريق الاحلام والتمنيات.

علينا - أيها المسلمون - أن لا نستسلم للهزيمة. حيث الاستسلام مصيبة اكبر من الهزيمة ذاتها وأعرق أثراً. علينا أن نصمد ونعتبر من هذه المأساة، انها ليست مأساة بسيطة، ليس بسيطاً ان يُهَجَّر شعبٌ مرتين او ثلاث مرات لا لشيء إلا لأنه يريد ان يعيش حراً، يريد أن يعيش موحداً لله سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^(١).

ولكن السؤال كيف نوقف الزحف الاسرائيلي الامريكي عن بلادنا؟

أولاً: الاستعداد للدفاع

يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾^(٢).

١- سورة الحج: ٤٠.

٢- سورة الحج: ٤٠.

فالله تعالى لا ينزل ملائكة حتى يحاربوا عنكم، انما الواجب أن تحاربوا وتدافعوا عن أنفسكم، فالله يدفع عنكم الاسرائيليين ومكرهم وكيدهم، ولكن بأيديكم. وإن لم تتحملوا المسؤولية: ﴿لَهَدَمْتُ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(١).

إنَّ المعابد ومراكز التوجيه الديني سوف تتهدم إن لم يدافع عنها المؤمنون. والله تعالى لا يترك المؤمنين في ساحة المواجهة لوحدهم، بل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢).

فالشرط الاول هو أن نستعد للعمل ولا نعتمد على غيرنا، بل علينا البدء من النفس، والكلام موجه لكل واحد منّا، اذا أردنا أن نعيش أحراراً لا بد أن نبدأ من أنفسنا، كلُّ يبدأ مسيرة الثورة والتغيير من حيث هو ولا ينتظر أحداً أو شيئاً خارجياً.

ثانياً: الحركة الثورية

يجب أن تخرج الحركة الثورية من وصاية الانظمة وتعود الى بحر الجماهير، ولكن هذه ليست مسؤولية الحركة فقط أن تعود الى الجماهير، انها ايضاً مسؤولية الجماهير أن تحتضن هذه الحركة. لا أن تجلس وتقول: لماذا خرج الفلسطينيون من لبنان؟ عاتبوا الذين لم يساعدهم، فهم المذنبون الحقيقيون في هذه الحادثة الأليمة.

١- سورة الحج: ٤٠.

٢- سورة الحج: ٤٠.

إنَّ كل من أراد في بلادنا أن يعمل عملاً فإنَّ كل اللوم والعتاب والإشكال والتهم تنهال عليه، فلماذا تعاتبون الذي يعمل فيخطيء، أو الذي يعمل ثم يتعب، بل عاتبوا الذي لا يعمل، ولولا كسل الكسالى، وتقاعس المتقاعسين، لما خرجت الثورة الفلسطينية من لبنان، لقد كانت لبنان محاصرة، والانظمة العربية يلفها صمت المؤامرة، والشعوب العربية يلفها صمت الغياب عن الساحة، والحركات الاسلامية تنتظر، والحركات الأخرى تعمل مؤتمرات، والاسرائيليون ومعهم الطائرات والدبابات والاسلحة الامريكية، والدعم الاوروبي، يحطمون لبنان تحطيماً كاملاً!!

لا تقولوا للشعب اللبناني: لماذا لم تصمد؟ لا تقولوا للشعب الفلسطيني: لماذا خرجت؟ قولوا للجماهير الاسلامية: اين أنتم؟ للانظمة العربية: لماذا سكتكم؟ للحركات الاسلامية والحركات الثورية: اين دوركم؟! واين موقعكم؟ واين مواقفكم؟ إن لم تكن اسرائيل عدواً فاننا لا نتصور أن هناك عدواً في التاريخ غيرها للمسلمين!!

واذا كنا غير مكلفين شرعاً بجهاد اسرائيل، فبماذا نحن مأمورون؟ لمن قال الله سبحانه وتعالى:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(١).

من هم الذين يلوننا من الكفار؟ هل هم في الصين؟ أم في افريقيا؟ أم في امريكا اللاتينية؟ هذا هو العدو أمامكم. فأين موقف

الحركات الإسلامية، اين موقف الحركات الرسالية، اين موقف الحركات الثورية، اين هي الحركات التقدمية؟ واين هي الجماهير؟ واين الانظمة؟

أن يجلس إنسان ويمثل شخصاً أو حزباً أو مجموعة أو جبهة أو شعباً واحداً كل مسؤوليات الاحداث وكل تخلف التاريخ فهذا خطأ فاحش.

على جماهير الامة الاسلامية أن تحتضن الحركات الاسلامية والحركات التحررية كافة حتى تبتعد عن الخطأ، وتمدها بالنصيحة والتأييد العملي والمادي فانه: من لا معاش له لا معاد له.

ومن فقد استقلاله المادي والاقتصادي، يفقد استقلاله السياسي ايضاً: ف «اِحْتَجْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ»^(١).

حينما تركنا الحركات التحررية في بلادنا تواجه مشاكلها وتواجه الصعوبات والآلام والمصاعب المالية كانت النتيجة المأساوية، حيث اضطرت الى أن تمد يدها نحو الانظمة، ونحو بعض القوى الكبرى التي تأمرت في لحظة الحسم ضدها. لماذا لا تدعم الجماهير الحركات الاسلامية والحركات التحررية بالمال حتى تستقل اقتصادياً؟ إن علينا اليوم، وعلى كل واحد من أبناء الامة الاسلامية أن يدعم بطريقة ما مسيرة الحركات الثورية من الناحية الاقتصادية، بأي شيء ممكن حتى تكون مستقلة وقادرة.

إن الحركات الاسلامية التحررية درعكم أيتها الجماهير،

١- الخصال، ج ٢، ص ٤٢٠. عن الامام علي عليه السلام.

فحافظوا على هذا الدرع، واننا نهيب بالذين يستطيعون من أبناء الامة الاسلامية ان يبدؤوا، ويشرعوا في عمل مرضي لله سبحانه وتعالى، وذلك هو الوقف. اوقفوا (ضيعة) أو (بستاناً) أو (محللاً تجارياً) أو (بيتاً) من اجل أن يكون ريع هذا الوقف لنشر الثقافة الرسالية لتربية العناصر المجاهدة، ورجال العلم والدين، ولدعم الحركات التحررية والحركات الرسالية.

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١).

ان الذي تبقيه وراءك أيها الانسان لا يصل اليك، فحاول أن تبعث امامك وتمهد لحياتك الآخرة. وكل انسان له حق في ثلث أمواله على الأقل، ولا يكفي ان يوصي به، بل عليه ان يبادر في حياته ليعمل به مشاريع خيرية تنفع الاسلام والمسلمين.

«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثٍ: وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ بَعْدَهُ، وَصَدَقَةٍ جَارِيَةٍ»^(٢).

الورثة يقتسمون الاموال، ثم لا يبقى لذلك المسكين الذي يعاني مسائلة منكروك في القبر إلا كسرة.

نقول لأولئك الاخوة الذين لا يملكون ضيعة أو بستاناً أو بيتاً أو ما أشبه، نقول لهم: ابدؤوا بطريقة جديدة، اليوم توجد في العالم تعاونيات وشركات مساهمة، اعملوا انتم شركة مساهمة في سبيل الله. اجتمعوا الى بعضكم، واجمعوا أموالكم كل حسب

١- سورة البقرة: ١١٠.

٢- جامع الأخبار، ص ١٠٥.

قدرته. مائة ومائتين وثلاث مئآت حتى تتوفر عندكم بضعة آلاف، تقيموا بها مشروعاً خيراً تشرفون عليه، وتجعلون ريعه للاعمال الاسلامية. لا ريب إنَّ أهمَّ الاعمال اليوم هو نشر العلم الصحيح ودعم المستضعفين المسلمين.

وأقول لأولئك الذين لا يملكون حتى هذا المقدار من المال الذي يساهمون به في انشاء شركة خيرية: إعملوا مشروعاً خيراً تعملون فيه يوماً في الاسبوع، أو يومين في كل شهر، كل منكم يقدم جهده لنفسه. إعملوا وابعثوا ربحكم الى الحركات التي تجاهد من اجل الله. إنَّ الجهاد اليوم واجب على الجميع. من كان يستطيع فعله أن يدافع عن الامة بمواجهة الأعداء، ولكن الذي لا يستطيع ذلك فعليه ان يدعم الجبهة بأية طريقة اخرى، والجبهة ليست فقط تلك الجبهة التي تتساقط فيها القنابل والصواريخ، فكل ارض اسلامية اليوم هي جبهة، وكل حركة اسلامية تتصدى لمقاومة الطغاة فهي حركة للمجاهدين الصادقين، وعلينا أن ندعمهم، إما بالانتماء اليهم مباشرة، وإما بدعمهم بالقدر الذي نستطيع. إذا استطعنا أن نضمن استقلال الحركات الرسالية والحركات التحررية، وضمننا استقامتها فاننا سنضمن ليس فقط عدم تكرار مأساة لبنان، وانما باذن الله، وبالتوكل عليه، استعادة فلسطين كاملة من الغزاة الصهاينة ان شاء الله.

والى ذلك اليوم الذي تتردد في جنبات المسجد الاقصى هتافات التكبير المليونية من العالم الاسلامي.

الحركة الاسلامية والمبادرات الرسالية

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ * وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

لأنَّ الفئة المؤمنة، والحركة الاسلامية تتوكل على الله وتعتمد عليه اعتماداً مطلقاً، وترى بأنَّ الهيمنة الحقيقية على هذا الكون وعلى ما فيه من سنن ومظاهر هي لربها رب العرش العظيم، رب السماوات والارض، لذلك فان من خصائص هذه الحركة انها هي

١- سورة الأنفال: ٥٩ - ٦٣.

التي تطرح المبادرات، وهي التي تمسك أزمّة الامور بأيديها، فاذا ارادت فهي التي تخوض الحرب، واذا ارادت فهي التي تفرض السلام، واذا ارادت فهي التي تتجه الى البناء، واذا ارادت فهي التي تتجه الى التوسعة والانتشار والامتداد.

فالحركة الاسلامية، وكذلك النظام القائم على اساس تلك الحركة والمنبعث منها هي الفاعلة للاحداث وليست المنفعلة بها، ولا تنتظر الحركة الاسلامية الانظمة حتى تبادرها بالافناء أو الطغاة لكي يحاربوها.

النبي موسى عليه السلام يؤمر من قبل الله أن يتجه الى قصر فرعون، وأن ينابذه العداء وأن يتبرأ من عمله بعد أن ينصحه وبعد أن يجد أن النصيحة لن تنفعه، والانبياء جميعاً هكذا، كانوا يأتون الى قومهم ويتبرؤون من اعمالهم بصراحة ويتحدي.

فانك تجد نوحاً عليه السلام حينما يأمره الله (سبحانه وتعالى) بان يعظ قومه، ويبلغهم رسالات ربه، يهبط اليهم يسفّ احلامهم ويقول لهم بكل صراحة ان هذه الالهة التي تُعبد من دون الله حصب جهنم.

أما إبراهيم فانه يأخذ المعول ويحطم الاصنام، صنماً بعد صنم، إلّا كبيراً لهم يحمله مسؤولية تحطيم الاصنام.

وكذلك شأن شعيب وهود وصالح وغيرهم من الانبياء العظام عليهم السلام.

واما نبينا ورسولنا وقائد مسيرتنا محمد ﷺ فانه يصعد على الصفا ويقول: واصباحاه، فيجتمع اليه قومه فينذرهم اعتماداً على قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

وبكل صراحة كان يسفّه أحلامهم ويبين أنّ هذه الالهة التي تُعبد من دون الله ضلالة وفساد وانحراف وأثمها حصب جهنم:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(٢).

هكذا يبدأ التحدي، وأتباع الانبياء هم الذين يبادرون، ولا ينتظرون الانظمة والمجتمعات الفاسدة حتى تبادر بالعمل، فالمبادرة بيد الحركة الاسلامية، وكم من حركة كانت تزعم بانها اسلامية جلست تنتظر الصراع من قبل الاعداء وتعتقد بانها إن لم تخض الصراع فان الاعداء سيتركونها تنتشر وتعد العدة ليوم المواجهة والصراع، ولكن الاعداء بادروها وقضوا عليها فانتهت.

لماذا ننتظر في حين اننا نحن الذين نريد اصلاحهم؟

نحن الذين نعتقد بان هذه الانحرافات ضلالة وكفر، نحن الذين نعتقد بان هذه الانظمة مسؤولة عن تخلفنا وعن استعبادنا

١- سورة الشعراء: ٢١٤.

٢- سورة الانبياء: ٩٨.

وعن سحق كرامة شعوبنا، نحن الذين نعتقد بان هذه الافكار المستوردة من الغرب حيناً ومن الشرق حيناً آخر أفكار تحطم تقاليدنا وتمزق أمتنا وتسبب الويل والدمار لنا.

فلماذا الانتظار؟ هل نريد أن نعتمد على انفسنا وعلى ما نملك من قوة ذاتية حتى نجتمع الانصار والاصحاب؟

كلا. إِنَّ علينا البلاغ، نحن الذين يجب ان نفتدي بالرسول ﷺ ونحمل رسالتهم الى الناس ونبلغهم، وبعدئذ، لله الامر من قبل ومن بعد، الله هو الذي يقرر مصير الناس ولسنا نحن.

وكذلك الحركة الاسلامية هي التي تقرر السلم، لان من بيده القوة والمنعة يستطيع أن يقرر السلام اليوم ويقرر الحرب غداً، ولكن السلام في هذه الحركة يأتي من منطق القوة لا من منطق الضعف، ويستحيل على قيادة الحركة الاسلامية أن ترضى بسلام مهين، يكون قوامه الذل والضعف. نحن لا نرضى بهذا السلام حتى لو بقي منا عرق واحد ينبض، فالى آخر قطرة دم، وآخر انسان يتنفس يجب أن نجاهد حتى نصنع السلام المشرق الذي يعطي حقوق المحرومين والمستضعفين، ويطبق القيم الرسالية السماوية.

انطلاقة الانسان المسلم

والقرآن الحكيم يحدد في الآيات الكريمة القواعد الاساسية

لانطلاقة المسلم في الحياة. يقول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾^(١).

صحيح أن الأعداء من المستكبرين والطغاة سبقونا وأسسوا أنظمتهم، ونشروا شبكات تجسسهم، وجندوا جيوشهم، واستعدوا لمحاربتنا، ولكن ذلك لا يدل أبداً على أنهم يستطيعون ان يعجزونا، وأن يسلبوا منا قدرتنا، فنحن بايماننا وبوحدتنا وبعملنا المتواصل وبارادتنا الصلبة، اقوى منهم ومن استعداداتهم ومن جيوشهم، وبالشروط التالية التي يحددها القرآن الحكيم:

١ - الاعتماد على النفس والثقة بها

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٢).

نحن نريد أن نعتمد على ثقتنا بربنا، وبالرغم من اننا نعتقد بأن الثقة بالله هي العامل الاساسي لنصرة المؤمنين، ولكن مع ذلك فان علينا مسؤولية، ومسؤوليتنا أن نسعى ونبذل قصارى جهدنا في سبيل الحصول على القوة بأي نوع يكون، ترى بأن ربنا في هذه الآية لا يحدد نوع القوة، بل يؤكد على ضرورة الحصول على كل انواع القوة، وبكل قدر منها، حيث يقول: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾.

فالتعبير واضح، لا بد أن تتسلحوا بقوة التدريب، فالتدريب

١ - سورة الأنفال: ٥٩.

٢ - سورة الأنفال: ٦٠.

العسكري واجب اليوم لأنَّ اعداءنا يدربون مرتزقتهم على خوض المعارك في بلادنا.

ما داموا يدربون مرتزقتهم للهجوم فلا اقل ان ندرّب شبابنا للدفاع، فالسلاح زينة الرجال، ولو لم نكن مسلّحين ومدربين فان الاعداء يبصقون في وجوهنا.

فالثورة الاسلامية يجب أن تكون مسلحة بكل انواع الاسلحة التقليدية والالكترونية، فالحرب القادمة ليست حرب الحديد بقدر ما هي حرب العلم والمعرفة والالكترون، فلماذا الضعف؟ ولماذا التخلف؟

رسول الله ﷺ يرقى اليه نبأ بأنّ سلاحاً جديداً قد انشئ في اليمن فيختار اثنين من شباب المهاجرين والانصار لكي يذهبا ويتعلما هذا السلاح الجديد، ثم يصنعا في بلدهما.

ولذلك حرام علينا أن ندع الغرب والشرق يسبقونا بأنواع أسلحتهم، وواجب على كل واحد منا أن يسعى، إن لم يكن بصورة منظمة، فعلى الأقل بصورة انفرادية من أجل أن تحصل الامة الاسلامية على أفضل انواع السلاح، وتحصل أيضا على قوة المعرفة والخبرة وقوة التخطيط وعلى سائر انواع القوة.

إنّ القوة هي - بعد الايمان والتوكل على الله - مرتكز المبادرة والمبادهة لدى الحركة الاسلامية، فما دامت الحركة الاسلامية قوية، فان بيدها المبادرة، والقوة هي عنوان المبادرة.

٢ - امتلاك القوة الرادعة

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١).

القوة رادعة، فقد لا تُستخدم القوة ولكن وجودها عندك يقذف الرعب في قلوب الاعداء فلا يتقدمون اليك.

لماذا تضم اسرائيل الجولان، لو لم يعرف الكيان الغاصب، بانه قادر على مغالبة العرب جميعاً بأسلحته وبجيوشه وبتدريباته لما فعل ذلك، ولماذا بقيت الأنظمة العربية طوال عقود من الزمن تتكلم كثيراً، ولكن حين المواجهة نكتشف أنها الى الفرار اقرب منها الى الهجوم، والى التبرير اقرب منها الى تحمل المسؤوليات.

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٢).

قد يكون هناك عدو ظاهر يحاربنا على جبهة، بينما وراءه اعداء حاقدون لا نعلمهم يمدونه بالسلاح والتشجيع والمال وبكافة انواع الدعم وهم ينتظرون ساعة ضعف الفريسة في زعمهم، لكي ينهالوا عليها بالسكاكين.

إِنَّ هَؤُلَاءِ مَا أَنْ يَرْهَبُوا قُوتَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، حتى يكفوا عن أعمالهم الجبانة الخبيثة.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٣).

١ - سورة الأنفال: ٦٠.

٢ - سورة الأنفال: ٦٠.

٣ - سورة الأنفال: ٦٠.

لا تعتقدوا بأن المال الذي تصرفونه من أجل دعم قوتكم يذهب هباءً، وعيثاً. كلا فإنه ينفعكم، وإنَّ الله يرد هذا المال إليكم كاملاً في الدنيا والاخرة دون أن تُظلموا منه شيئاً.

وبعد أن تعتمدوا على الله وعلى الثقة بأن الكفار لا يعجزونكم بسبقهم، وبعد أن تعتمدوا على قوتكم المرعبة، بعدئذ يقول ربنا:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(١).

نحن لا نريد الحرب للحرب، والصراع للصراع، ولا نريد اراقة الدماء. إنما نريد القيم، وإذا قلنا برعب فمن أجل المستضعفين، أو صراع فمن أجل الرسالة، وإذا قلنا مواجهة فمن أجل القيم، لا من أجل شهواتنا وأهوائنا في اراقة الدماء كما هم كذلك.

نحن نقول: إنَّ على الشعوب أن تقرر مصيرها بأيديها ولا يتحكم فيها شרذمة قليلة من الحاقدين، ونقول: إنَّ ثروات هذه الشعوب يجب أن تعود إليها، وأن نضمن استقلالنا عن الغرب والشرق، ونعيش بسلام، ولا تكون المنطقة مهرجناً للسفن الاجنبية، نحن هذا كلامنا، ومن أجل هذا جهادنا، ولكن إن جئنا للسلم على هذا الاساس فلا بد ان نجنيح له.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

وبالرغم من انه قد يُعتقد بأن الاعداء في أيام السلام يستعدون لحرب أخرى، لكننا بدورنا نتوكل على الله ونستعد للدفاع عن

١- سورة الأنفال: ٦١.

٢- سورة الأنفال: ٦١.

أنفسنا مرة أخرى إن هم أرادوا الحرب.

٣- الوحدة الايمانية الجماهيرية

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

انك في ساعة المواجهة، وفي لحظة الصراع، بحاجة الى ركن شديد تعتمد عليه، فإما أن تبحث عن هذا الركن الشديد في الغرب أو في الشرق، عند هذا النظام أو ذاك الحاكم، وإما أن تبحث عنه عند المؤمنين الصادقين من اخوانك.

يشير ربنا في هذه الآية الى أنه اذا أردت أن لا تُخدع ولا تُهزم وأن تكون المبادرة بيدك دائماً، فعد الى اخوانك وتآلف وتعاون واتّحد معهم.

وإذا اختلفت مع اخوتك في الايمان والجهاد فان الزمن والظروف ستضطرك الى أن تتنازل لأعدائك. فما من حركة اسلامية انهزمت إلا بعد أن فقدت هذه البصيرة القرآنية ولم تعرفها.

البصيرة القرآنية هي: الوحدة الايمانية في مواجهة الضلالة والكفر، وفي لحظات الصراع.

١- سورة الأنفال: ٦٢ - ٦٣.

يقول ربنا: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

لا تبحثوا عن الدعم هنا وهناك، فالكفار هم فئة واحدة، يقول ربنا في هذه السورة بالذات وهي سورة الانفال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(١).

في الآية السابقة لهذه الآية من سورة الانفال يقول ربنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٢). هذه هي الوحدة الایمانية في مقابل الكفر الواحد، فالكفر ملة واحدة، لا تركعوا امام عتبات السلاطين والانظمة الفاسدة، فما دامت كافرة وطاغية ولا تحكم بأمر الله، ولا تسعى من أجل تطبيق القرآن والرسالة فهي قد سجلت اسمها في خانة الاعداء، إن لم يكن اليوم فغداً.

إنَّ القوة الحقيقية تكمن في الجماهير المؤمنة، وفي الحركة الإسلامية العريضة في الوطن الاسلامي الكبير، وفي الوحدة بين أبناء الامة الاسلامية، فانه لا فرق بين عربيها وعجمها وتركها وسائر شعوبها، انها الوحدة الواحدة، وقوتنا الحقيقية هنا، كما أنَّ عدونا الحقيقي هناك شئنا أم أبينا.

١ - سورة الأنفال: ٧٣.

٢ - سورة الأنفال: ٧٢.

لقد كشف التاريخ مراراً عن أن الذين اعتزّوا بغير الله والمؤمنين قد ذلّوا، وانهم أخطؤوا الطريق، أقول هذا لكل من يفعل ذلك نصيحة له. لنعد الى أنفسنا، لننبذ الخلافات والصراعات، ولنعتمد على القوة دون ان نحتجب عن إخواننا في الايمان بحُجُب اللغة، أو اللون، أو المكان، أو الوطن، أو الاقليم، أو الدم، أو ما أشبهه.

اننا أمة واحدة، هكذا خلقنا الله وهكذا سنبقى، ولا يمكن لسكاكين الغرب ولثقافات الشرق ولأهواء الطفيليين أن تقطّع هذا الجسد الواحد.

﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

اننا الآن نجد صحوةً جماهيرية في العالم الاسلامي كله، ولكن أبناء هذه الصحوة مكبوتون على أيدي التضييل الاعلامي الجاهلي في العالم.

انهم يحجبون عنا نبأ المساجد التي تكتظ اليوم بالمصلين في كل العالم الاسلامي، وتهافت الناس على الكتب والمجلات الاسلامية في كل قطر من اقطار العالم الاسلامي، ويحجبون عنا النبأ الذي يقول إن الناشئين الاشبال في العالم الاسلامي لم يعودوا يجدون الا طريقاً واحداً هو طريق الاسلام، فاذا كان في شبابنا قديماً من اتجه شرقاً او غرباً أو ركن الى اللامبالاة بالرسالة فان شبابنا الجدد كلهم

١ - سورة الأنفال: ٦٣.

والحمد لله يتجهون الى الاسلام.

لقد فشلت الثقافة الشرقية والغربية، ولقد عرف الانسان بفطرته وبالتجربة التي دفع ثمنها دماءً ودموعاً وويلات أن الطريق الوحيد هو الاسلام، والاسلام وحده.

وهذا يعني انه كلما تقدمنا مع الزمن فاننا نقرب الى النصر، لأن هؤلاء الشباب الاشبال الذين يتجهون اليوم الى الاسلام في كافة انحاء العالم الاسلامي انما هم شاهد بسيط على انهم عندما يكبرون غداً ويصبحون رجالاً فانهم سيحكمون البلاد باسم الاسلام.

فلماذا نستعجل، ولماذا نريد ان نشترى راحتنا بثمن ترويض شعوبنا؟ لماذا لا نثق بانفسنا؟ نحن اقوياء، وقبل ذلك وبعد ذلك يجب أن نتجه الى الله. فإن كنا مؤمنين بالله فنستمر في مواجهتنا للطغاة، ولا نبيع شعوبنا على موائد المفاوضات، فالشعوب لا تُشترى ولا تُباع.

صحة الشعوب الاسلامية

إن الشعوب قد عرفت اليوم مسيرتها، وادركت قيمتها، واكتشفت الوسيلة التي يجب أن تتبعها لتطبيق القيم، ولقد تأكدت أن النصر لا يأتي بلا ثمن. إن ثمن النصر هو السعي، والجهد، وبذل كل ما في وسعها من أجل الانتصار.

نعم.. لحركات الاصطدام لا.. لحركات الاستسلام

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

المشكلة التي تعيشها الامة الاسلامية اليوم هي: افتقارها للرؤى السياسية والاجتماعية للعمل الرسالي.

فهناك اسئلة كثيرة. كيف؟ متى؟ من؟ مع من؟ واين الطريق؟ تحوم حول نقطة واحدة وهي: (خريطة العمل السياسي والاجتماعي).

ولو بصرت الامة الاسلامية قرآنها وسيرة النبي والائمة والهداة من قادتها، لتمكنت من معرفة الجواب على كل سؤال أو فكرة تراودها، ولتوصلت الى اهدافها بوسائل سهلة وطرق قصيرة ومكاسب كبيرة.

وآية التغيير التي تلونها قبل سطور هي بصيرة قرآنية تحدد مسيرة الانسان وتنير طريقه.

١- سورة الرعد: ١١.

ولهذه الآية ابعاد كثيرة سنسلط الضوء على بُعد واحد هام من الضروري تنبيه ابناء الامة الاسلامية اليه، خصوصاً في هذا الوقت المصيري من تاريخهم.

ذلك البُعد هو طبيعة التجمعات الاسلامية التي تتشكّل هنا وهناك.

التجمع وعلاقته بالامة

إنَّ طبيعة هذه التجمعات الاسلامية وعلاقتها بالامة اجتماعياً وسياسياً، تكمن في السؤال التالي:

ما هي حدود وواجبات وحقوق التجمع الرسالي، أُنّى سميناه حزباً أو منظمة أو جماعة أو تجمعاً أو جبهة، وإلى آخر الاسماء التي قد تكثر ولكنها تشير الى حقيقة واحدة هي: التجمع الرسالي في الامة الاسلامية الداعي الى تحقيق اهدافها في سيادة الحق والحرية واقامة حكم الله في الارض.

والقرآن الكريم حينما يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

فانه يشير الى أنَّ تخلف الامة وتشتتها وسلبياتها الثقافية هي السبب فيما يلحق بالامة من اضرار، فتحكّم الجبابة على رقاب الشعوب لاستغلالهم، والمذابح التي تجري في سائر بلاد العالم انما هي نتيجة السلبيات المتكرسة في الامة.

فاذا اردنا القضاء على هذه الاخطار والكوارث، علينا ان نفكر في القضاء على تلك السلبيات. وإلا فاننا نساهم في تكريس تلك المصائب، وبالتالي نساهم في تعجيل فناء الامة، كالطبيب الذي يعطي المزيد من المسكّنات دون ان يقضي على جرثومة المرض وفيروسه.

ومن أخطر السلبيات التي تهدّد التجمعات الإسلامية في الأمة هي:

الف: التحزب الطائفي

فحينما تعيش الامة مأساة الطائفية والتفرقة المذهبية، عندئذ يصبح التجمع تجمعاً طائفيّاً أيضاً، لانه يمثل الامة بسلبياتها وإيجابياتها. هذا في الوقت الذي يجارب الاعداء الامة الاسلامية عن طريق اشعال الفتنة الطائفية.

فلو أخذنا العراق مثلاً لو جدنا أنّ مختلف الطوائف الاسلامية تتواجد وتتعايش فيه، ولكن المؤسف أنّ الاحزاب الاسلامية أصبح كل واحد منها يمثل طائفة معينة، فحزب يمثل التيار الاسلامي في هذه الطائفة، وآخر يمثل التيار الاسلامي في الطائفة الأخرى، وهكذا لا تجد منهم واحداً يمثل جميع الطوائف.

بينما نلاحظ أنّ الحزب الشيوعي - مثلاً - يمثل جميع الطوائف، وكذلك القوميون والوطنيون.

والأغرب من ذلك ان في العراق أحزاباً ومنظمات متجزّئة، كلٌّ يمثل منطقة معينة، مما قد يسبب الى نشوب الصراع بين هذه الاحزاب.

وواضح أنّ وضعاً كهذا يساهم في تكريس سلبيات الامة، بل يخدم المخطط الاستعماري الرامي لضرب الامة بعضها ببعض، ولا يطور الحركة الاسلامية العاملة في العراق.

باء: الديكتاتورية

إنّ المشكلة التي تعيشها الامة اليوم هي: مشكلة الديكتاتورية التي تنخر في أعماق أبناء الامة. فلا ترابط بين قلوبهم، ولا وحدة في استراتيجيتهم، ولا تحكمهم القيادة الواحدة حكماً حقيقياً، ولا يتنازل أيُّ فردٍ عن ذاتيته وعن افكاره للقيادة الواحدة. وهذا ما ينعكس على التجمعات والأحزاب.

عندئذ لا فائدة تُرجى من وجودهم ولا من تسميتهم باسم واحد إنّ كانوا كذلك. فتسميتهم باسم واحد أشبه الى حد بعيد بتسمية الامة الاسلامية باسم المسلمين، مع انها تحتوي على كافة الاتجاهات المتضاربة.

جيم: التحريف والفهم الجزئي

إنّ أبواق الاستعمار تحاول أن تبث فكرة خبيثة من الافكار المتخلفة القشرية مفادها: أنّ الكفر كفران، كفر عملي وكفر نظري.

العملي هو: عدم الالتزام بالواجبات الاسلامية وممارسة الظلم والسرقة.

اما الكفر النظري فهو: نكران الدين والعقيدة كما الاحزاب الشيوعية.

لذلك نجد بعض ادعاء الدين ومرترقة الانظمة الطاغوتية في العالم الاسلامي يتشدقون بالفكرة القائلة بمحاربة الكفر النظري والنهي عن محاربة الكفر العملي لعدم وجود دليل شرعي يجوز محاربته.

فلا يجوز (حسب هذه النظرية) محاربة الحكام الظلمة لأنهم محاطون بسياس اسلامي حتى ولو كانت اعمالهم تدل على كفرهم.

مستلزمات الكفر

ان هذه الفكرة تنتشر على نطاق واسع للتغريب بشبابنا وتجميدهم وسلب الثورية الاسلامية المتغلغلة في نفوسهم.

اننا حين ننظر الى التاريخ الاسلامي في عهد الائمة عليهم السلام نرى ان حكام ذلك العصر كانوا يبثون ذات الفكرة ويحاولون اخماد روح الثورة الاسلامية في الشباب.

كما نرى اليوم أن بعض شبابنا في أوروبا بدأوا ينظرون الى الثورة الاسلامية عن طريق هذه الفكرة الخبيثة التي يبثها ادعاء الدين.

بينما في القرآن الكريم اكثر من (٣٠) آية قرآنية تشير وتؤكد

على ان الذي يقوم بعمل باطل فهو كافر.

فالذي لا يحج فهو كافر:

﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ﴾^(١).

والذي لا يصلي فهو كافر:

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيْنَ﴾^(٢).

والذي لا يطعم المسكين فهو كافر.

﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِيْنَ﴾^(٣).

إنَّ القرآن الكريم يطلق كلمة الكافر والكفر على الذين لا يطبقون أحكام الله حتى لو ادّعوا الايمان بالله، يقول تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤).

أي إنَّ صفة الكفر ليست للذين لا يؤمنون بالله فقط، بل تشمل حتى الذي يؤمن بالله ولكن لا يقوم عملياً بتطبيق مناهج الله سبحانه وتعالى.

ولو نظرنا الى كتاب البحار للعلامة المجلسي لرأينا جزئين يضمّان حوالي (٧٠٠) صفحة يبحثان في قضية الكفر والايمان، ويقرر - حسب الاحاديث المؤكدة الكثيرة والبحوث المكثفة - أنَّ

١ - سورة آل عمران: ٩٧.

٢ - سورة المدثر: ٤٢-٤٣.

٣ - سورة المدثر: ٤٤.

٤ - سورة المائدة: ٤٤.

العمل بغير أحكام الله تعالى يسبب الكفر، وأن الكفر العملي قرين الكفر النظري.

نشوء الافكار والقيم الفاسدة

إنَّ الاسلام في آيات كثيرة يأمرنا بالسعي وبالسير والعمل .
﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾^(٢).
﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣).

ولكننا نرى أنَّ فريقاً من أبناء الامة الاسلامية اليوم يعتبرون الجمود والتقاعس قيمة أساسية.

وبعضهم حينما يريد ان يعرف انساناً عظيماً في نظره يقول: إنَّ هذا الانسان طيب جداً وليس له أية علاقة بأمور الناس؟
فكأن هذه الصفة نجمة توضع فوق كتف هذا الانسان، بينما الاسلام يقول:

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْ أُمَّتِي وَهَمَّتْهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ أَقْرَبَ بِالذُّلِّ طَائِعاً فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ

١ - سورة التوبة: ١٠٥.

٢ - سورة الروم: ٤٢.

٣ - سورة النجم: ٣٩.

الْبَيْتِ»^(١).

فالاسلام يرى أَنَّ المقياس هو العمل الصالح و يقيّم الناس على أساسه، فليس العلم وحده قيمة أساسية في الاسلام، ولا المال والجاه ولا النسب، إنما العمل الصالح هو القيمة والمرتكز:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢).

وكما قال الإمام علي عليه السلام:

«عِلْمٌ بِلَا عَمَلٍ كَشَجَرٍ بِلَا ثَمَرٍ»^(٣).

وتقييمنا للتجمعات الرسالية إنما هو حسب هذا المعيار. لماذا أردنا إنشاء تجمع ايماني في منطقة ما، وحاولنا استقطاب هذه المجموعة البشرية، وفي المقابل إن لم نحاول مقاومة الامراض الاجتماعية كالطائفية والجمود وما شابه فسوف يصبح هذا التجمع جزءاً من سلبياتها، بل سيساهم في تحطيم الامة الاسلامية جمعاء. هذا هو نوع من التجمعات الذي لا ينشأ بعيداً عن سلبيات المجتمع. وهناك نوع آخر هو: التجمعات الرسالية.

الطلائع الرسالية

التجمع الرسالي الحق هو الذي يحارب سلبيات الامة ويستبدلها

١ - تحف العقول، ص ٤٧.

٢ - سورة البقرة: ٢٧٧.

٣ - عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٤٠.

بإيجابيات، لينشأ ذلك التجمع النظيف، كالتجمع المحيط برسول الله ﷺ والامام الحسين يوم عاشوراء.

فالتجمع الرسالي، هو طليعة المسلمين وجماعتهم التي تكون يد الله معها طبقاً للحديث المشهور:

«يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»^(١).

وهكذا يجب أن تكون نظرتنا، فلا يكفي لإنقاذ الامة أن يجتمع مجموعة رجال جامدين، سلبيين، وحاquدين على الآخرين.

فعلينا أن نصلح أنفسنا ولا نفكر في زيادة الانصار، بل نفكر في اصلاحهم، لا يقول أحدنا: من معي، بل يقول: ما نوعية الرجال الذين أنا معهم. فان يكون الانسان واحداً من قطيع الأسود خير له من أن يكون رئيساً على قطيع الفئران.

فالانسان يجب أن يتبع من يؤمن به ايماناً اسلامياً صافياً من دون نقطة سوداء، ولا يؤمن بأي انسان أو تجمع أو منظمة من دون أن يكون لديه ايمان قاطع بسلامة حركة هذه المنظمة أو التجمع.

الخلاص بين الشعارات والعمل

قضيتنا الرئيسية هي قضية انقاذ الامة.

والامة لا تُنقذ بالشعارات، وإنما بعمل مثابر جديّ ليل نهار.

وهذا ما يسميه القرآن بالجهاد.

١ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، خطبة ١٢٧، ص ١٨٤.

الجهاد لا يعني العمل بصفة عامة، وإنما يعني التعب وبذل الجهد، فكل ما تستطيع أن تعمله في سبيل الله فاعمله.

الجهاد ينبغي أن يتوجه نحو سلبات أنفسنا. فإذا شيدنا أمة رسالية من ٥٠٠ إنسان طليعي، فإن باستطاعتهم مقاومة عشرات الملايين من الناس، لانهم الجماعة المتفاعلة الحية والمتحدة في استراتيجيتها وفي أهدافها، فطالوت حينما وصل بجنوده الى النهر منعهم من شرب الماء إلا من اغترف غرفة بيده، ولما كان الجيش ظمآنًا، والماء سائغًا لذيذًا، أوغل الجيش في الماء شرباً فشربوا منه الا قليلاً.

وحينما محص طالوت جيشه، أي أصلح نفوسهم وكوّن تلك النفوس القليلة، قال القرآن:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

كان في بعض البلدان الاسلامية حزب اسلامي يُقدّر المتممون اليه بحوالي ستة ملايين انسان. وفي ذلك البلد حدث انقلاب عسكري، ولم يكن عدد من أحدث الانقلاب اكثر من مائتين. وكانت النتيجة أن العسكريين (الاقلية) حكموا، وأولئك انتهوا من البلاد.

فليس مهمًّا ستة ملايين انسان كانوا يذهبون الى المسجد

١ - سورة البقرة: ٢٤٩.

فيعتبرهم الحزب منضمين اليه، بقدر ما هو مهم جودة الافراد وصلاحياتهم للعمل.

فالتجمع يعني: التفاعل، كما كان في اصحاب الرسول ﷺ والائمة عليهما السلام.

روي عن محمد بن عجلان، قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلم.

فسأله: «كَيْفَ مَنْ خَلَفْتَ مِنْ إِخْوَانِكَ»؟

فأحسن الشاء وزكى وأطرى.

فقال: «كَيْفَ عِيَادَةُ أَغْنِيَائِهِمْ لِفُقَرَائِهِمْ»؟ قال: قليلة.

قال: «كَيْفَ مُوَاصَلَةُ أَغْنِيَائِهِمْ لِفُقَرَائِهِمْ فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ»؟

فقال: إنك تذكر أخلاقاً ما هي فيمن عندنا.

قال: «فَكَيْفَ يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ لَنَا شِيعَةٌ»؟^(١).

أي إنهم لا يشكلون ذلك التجمع الرسالي المطلوب، ولا يمثلون قول الله سبحانه:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢).

هذه هي الاخوة الحقّة التي نحتاجها ونشدها لإحياء الامة الاسلامية وبنائها بناءً إيمانياً.

١- صفات الشيعة، ص ٨.

٢- سورة الحجرات: ١٠.

عوامل الاستمرار في النهضة الاسلامية

كل نظام أو مؤسسة في الحياة يعتمد على عدة أركان، من دونها لا يستطيع هذا النظام أو تلك المؤسسة الاستمرار في البقاء. والنهضة كذلك تحتاج الى عدة أركان، منها: الدعم المالي، والفكرة الرسالية، والطلائع المستجيبة، والجمهير المؤيدة.

الركن الاول: الدعم المالي

المال يقوم بدور حاسم في قيام النهضة وفي استمرارها وانتصارها، فمن الثابت تاريخياً أنه: (لولا سيف علي ومال خديجة لما قام الاسلام).

وحيث يعيش العالم الاسلامي، من اقصاه الى اقصاه، حالة من الغليان ضد الطغاة وعملاء الغرب والشرق، فتندلع ثورة في افغانستان تمرغ أنف الامبريالية الروسية في التراب، وتتصير ثورة في ايران تقلب معادلات الامبريالية الامريكية، وتتاهض ثورة في

مصر تتحدى فكر الصهيونية العالمية، وتنمو ثورة اسلامية واسعة النطاق ومسلحة في جنوب شرق آسيا، وثورات في افريقيا، وفي جميع انحاء العالم الاسلامي.

هذه الحالة الثورية تتحول الى نهضة حقيقية ومنتصرة بتحقيق المقومات الاساسية لها، ومن أبرزها الدعم المادي.

لو لم يقيم أصحاب المال بدورهم في تمويل النهضة الاسلامية في البلاد التي يعيشون فيها، فإما تنتصر النهضة أو الطغاة. فاذا انتصرت النهضة فسوف تكون نهاية رجال المال وخيمة، لانهم قد خانوا النهضة، واذا انتصر الطغاة فسوف تكون نهايتهم أشد سوءاً، لماذا؟ لانه في الحالة الثانية سوف يمتص الطغاة كل ما لديهم من ثروة دون أن يؤجروا، كما وقع بين الامام الحسين عليه السلام وأهل المدينة، حيث تحرك الامام الحسين من المدينة وأعلن الثورة ضد طغاة زمانه، وبالرغم من أن أهل المدينة عرفوا نية الامام عليه السلام وأمرهم بأن يلتحقوا به ولكنهم لم يفعلوا، فذهب الامام الى كربلاء واستشهد، ولكن لم يمر على واقعة كربلاء إلا عام واحد حتى بعث يزيد بن معاوية الذي قتل الامام الحسين عليه السلام جيشه الى المدينة، فاستحلوا حرمة المدينة وقتلوا الآلاف من أبنائها، لماذا؟

إن أهل المدينة لو انتصروا للإمام الحسين عليه السلام وقاموا معه وقاتلوا ضد الانحراف في الامة لكانوا ينتصرون دون أن تقع فيهم هذه المجزرة الرهيبة، ولكنهم توانوا فسلط الله عليهم الظالمين

فَقُتِلُوا وَهَتَّكَتْ حَرَمَاتِهِمْ دُونَ أَنْ يُؤْجَرُوا عَلَى ذَلِكَ.

فلو أنَّ أصحاب المال في العالم الاسلامي مسكوا أيديهم عن دعم الحركات والنهضات الاسلامية، وزعموا بأن إعطاءهم الرشوة لأصحاب السلطة سيغنيهم وسيُنفعهم في المستقبل فإنَّ الطغاة سيقومون بتصفية هؤلاء، تصفية اموالهم وأجسادهم ثم لا ينصرهم أحد.

الركن الثاني: الثقافة والاعلام

قبل كل شيء يجب أن نعرف بان الثقافة الحركية والاعلام النهضوي والدعوة الى النهضة والى الانتفاض، ليست من مسؤولية فئة خاصة من فئات المجتمع، إنما كل انسان يعتقد بالاسلام ويشعر بمسؤوليته كإنسان في هذا العالم يجب عليه أن يقوم بدوره في صنع وتبليغ الثقافة النهضوية، أو لم يقل الرسول ﷺ:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

السؤال المطروح: كيف يمكن أن ننشر هذه الثقافة في العالم، علماً بأن أجهزة الاعلام يملكها العدو، فالاذاعات وأجهزة التلفاز والصحف الكبرى ووكالات الانباء والصحفيون الكبار هم من تربية العدو وفي خدمته وبيده.

شرف الكلمة وشرف الصحافة لا وجود له، فكيف يمكن في

١- جامع الأخبار، ص ١١٩.

هذا الجو المكهرب حيث تفتح الاذاعة فتسمع كلاماً ضد مسيرة الشعوب ومصلحة الجماهير، وتتصفحَّ الجريدة فتقرأ فيها مثل ذلك الذي تسمعه في الاذاعة، وتذهب الى التلّكس فإذا بوكالات الانباء تنقل اليك الانباء الكاذبة، وتنقل الانباء الصادقة بتفاسير كاذبة وباطلة، في هذا الجو كيف يمكن للجماهير أن يوصلوا صوتهم الى العالم؟ هل بإمكاننا ان ننشئ اذاعة هنا وهناك؟ هل بإمكاننا أن نصدر صحيفة؟

في العالم الاسلامي اليوم - وبالذات في العالم العربي - يُحارب الاعلام النهضوي كما تُحارب المخدرات، وكما يُحارب السلاح، إنهم يخشون من الورقة الثورية أكثر مما يخشون من المسدس والرشاش، كم أعدمو ارجالاً بتهمة واحدة هي أنهم كانوا ينشرون الافكار الثورية، كم أبادوا من الكتّاب الرافضين للظلم، وكم كسروا الأقلام الناهضة؟

إذن في هذا الجو المكهرب كيف يمكن للشعوب أن ترفع ظليمتها أمام العالم، وكيف يمكنها أن تثقف نفسها بالثقافة النهضوية الاصيلية؟

للاجابة على هذا السؤال لا بد من ذكر عدة نقاط:

صناعة ثقافة الجهاد والنهضة

الثقافة الناهضة لا بد أن تُصنع. فكل فكرة، كل خبر،

كل حادثة، وكل ظاهرة بإمكانها أن تتحول الى فكرة نهضوية وخبر نهضوي والى حادثة نهضوية وظاهرة نهضوية، ولكن بعد تصنيعها، وذلك عن طريق إعطاء الرؤية السليمة للاخبار، ذلك لأنّ الاخبار المنشورة عادة - سواء عبر الاذاعات أو وكالات الانباء أو صحف الانباء أو شبكة الانترنت - عادة ما تكون فيها نسبة من الصحة، ولكن أكثر ما تمتد اليه أيدي الخيانة فإنما هو تفسير النبأ ووضعه في اطار كاذب، فيضللون الناس بذلك التفسير الكاذب.

فعلينا - إذن - أن نسمع الخبر ولكن دون أن نستمع الى التفسير أو نصدق بالاطار الذي يوضع فيه الخبر، وإنما نعطي للخبر تفسيراً نهضوياً، ورؤية صادقة وصحيحة.

مثلاً يُنشر في الاخبار أنّ هناك اضطرابات في ولاية ما، وهذا يُنقل في اذاعة أخرى بإضافة أنّ الحرس الوطني والشرطة قمعوا هذه الاضطرابات، وانتهى كل شيء. فالخبر صحيح، ويدل على أنّ هناك ظروفاً متوترة وحالات استثنائية في هذه الولاية، ولكن كيف يُنقل الخبر، هل الحدث هو اضطرابات ام انتفاضة جماهيرية؟

هناك فرق بين أن تقول اضطرابات أو تقول انتفاضة الجماهير، الجماهير الذين اغتصبوا وحُرموا من أبسط حقوقهم الانسانية، هؤلاء بدؤوا يتنفسون ويرفعون أصواتهم ويطالبون بحقوقهم،

فإذاً ليست هناك اضطرابات، إنما هناك إنتفاضة وإرهاصات النهضة.

فكلمة (اضطرابات) تُطلق على عمل الطفل أو المجنون أو المجرم، وانها تدل على الاعمال غير القانونية.

إذن فالحدث انتفاضة وليس اضطرابات، هذا أولاً.

ثانياً: النهضة هي إرادة الجماهير المحرومة، ولذلك فانها سرعان ما تُخمد، لأنَّ إرادة الجماهير إذا واصلت التحرك والانتفاض فإنه يصعب على الطغاة قمعها.

فإذاً النبأ قد يكون بذاته صحيحاً، ولكن صناعة النبأ وطريقة القائه وتفسيره هي الخاطئة، فالجماهير تستطيع أن تأخذ النبأ وتغيّر فيه وتعطي له تفسيراً إسلامياً وبصيرة إنسانية متكاملة.

وكذلك الظواهر الاخرى، كتزييف استشهاد رجل مجاهد في السجن بأنه مخالف للنظام وقُتل.

أما نحن فيجب أن ننقل النبأ بطريقة أخرى:

أولاً: إنه ليس قتلاً وإنما هو استشهاد وكرامة.

ثانياً: إنه استشهد، ولكن من دم هذا الشهيد سوف ينبت الف مجاهد، وبشهادة هذا الانسان جرت دماء الشعوب الاسلامية ثورة وغضباً، وأنَّ تلك الدماء هي التي سوف تتصير لهذا الدم.

من هنا علينا أن نتخذ مواقف غير مواقف الاجهزة الحاكمة، فالاجهزة الحاكمة تقتل رجلاً لتقتل من ورائه ارادة الامة، ولكن

بصيرة الاسلام ورؤية النهضة تقول: لو قدمنا شهيداً الى المعركة فان دم هذا الشهيد سوف يجدد عزيمتنا على المسير في طريقه. فدم الحسين عليه السلام هل طلا وذهب؟ كلا.

فعشرات بل مئات الثورات والانتفاضات قامت بعد واقعة كربلاء وهي تنادي: يا لثارات الحسين. اذاً الظاهرة يجب أن نفسرها تفسيراً رسالياً ونتخذ أمامها موقفاً نهضوياً.

مثلاً الجمعة الحمراء التي حدثت في إيران في إبان اندلاع الثورة الإسلامية حيث قتل الطاغوت في يوم واحد ما يقارب أربعة آلاف إنسان، كان بينهم مجموعة كبيرة من النساء والاطفال. قيل بان تسعين طفلاً كانوا مقتولين برصاصات العدو، وحوالي سبعمائة امرأة استشهدت.

بعد تلك المعركة أشاع بعض اليائسة من العناصر المتخاذلة اشاعت في الناس هذه الاسئلة: الى متى العمل؟ الى متى الثورة؟ الى متى تهدر دماؤنا؟ ولكن قائد الثورة بعث من النجف الاشرف رسالة الى الشعب الايراني وقال لهم: قتلاكُم لم يصلوا حتى الان بمقدار قتلى المسلمين في معركة صفين.

هذا هو الدرب، درب الثائرين، درب المنتصرين، درب المؤمنين في الحياة الذين يقدمون التضحيات ولا يبالون.

وفعلاً كانت كلمة الامام الخميني بمثابة روح جديدة بُعثت في

الامة الاسلامية في ايران.

يجب أن يكون تفسير النبأ من الآيات الكريمة والاحاديث. نعد الى قرآننا لنعد الى كلام ربنا حتى نفهم محتواه.

حينما تنزل بالمسلمين المصائب، ويحقد بهم الاعداء من كل جانب، ويشتد الصراع، علينا بقراءة آية النصر التي تقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١﴾.

نقرأ هذه الآيات لنستلهم منها الفكرة الجهادية، والثقافة والرؤية النهضوية الاسلامية، فنضع هذه الرؤية حول الخبر.

إذن، كل واحد منا يستطيع أن لا يفسر الانباء حسب ما تفسرها اجهزة الاعلام والاقلام المأجورة الذين باعوا دينهم ودنياهم بدنيا غيرهم، وإنما يفسرها حسب رؤية الاسلام ونصوص القرآن وعبر التاريخ.

نشر الثقافة الثورية

بعد أن نصنع الخبر حسب الرؤية الرسالية والثقافة الجهادية، يأتي دور نشر الخبر، أين أنشر الخبر وأيئة صحيفة تقبل مثل هذه الأخبار والتحليلات؟

لكي لا تعتمد على الصحيفة تستطيع أن تكتب الرؤية الرسالية على ورقة وتلصقها على الجدار، أو تكتبها بخطك على الجدار، وأن تقولها لأصدقائك عبر جهاز الهاتف، وتقولها لأقربائك.

هذا في السابق، أما اليوم فأمامنا مجال واسع للنشر هو مجال شبكة الانترنت بكل تفاصيلها وأشكالها. وهكذا ينتشر الخبر في الساحة كما ينتشر الماء تحت الارض.

ولا يعني ذلك أن تكشف نفسك - إذا كنت تعيش في دولة يحكمها نظام ديكتاتوري قمعي - بل اكنم نفسك واعمل بالتقية كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ التَّقِيَّةَ دِينِي وَدِينُ آبَائِي»^(١).

فالتقية لا تعني أن لا تفعل شيئاً وتسكت، فان الساكت عن الحق شيطان أخرس.

قل الحق ولكن بكتمان، فبالاجهزة البدائية قامت الثورات في العالم، ولم يكن الثوار يملكون الاموال الطائلة، فغاندي لم يملك

أوراقاً يكتب عليها، فكان يكتب على أوراق السجائر، وبعضهم كان يكتب على الحيطان، فكتابات الحيطان مؤثرة ومفيدة حيث كتابة (الله اكبر) أو (يسقط الطاغوت) تُسقط هيبة الحاكم، حيث الحكام الطغاة يعيشون على الهيبة والترهيب وزرع الخوف بين الناس.

إذاً فمن هذه الكلمات والشعارات يتكوّن المد الجماهيري الناهض، فعلياً أن لا نستصغر دورنا في نشر ثقافة الجهاد والنهضة.

قبل فترة سُجِن بعض اليهود في الاتحاد السوفيتي، ثم زار بريجنيف - الرئيس السوفياتي آنذاك - فنلندا زيارة سياسية، فكتب اليهود المتواجدون هناك رسائل شخصية الى بريجنيف يطالبون بالافراج عن أبناء طائفتهم في الاتحاد السوفيتي، فبلغ عدد الرسائل ١٠ آلاف رسالة، وقد كان عدد اليهود القادرين على الكتابة في فنلندا ١٠ آلاف أيضاً، وذلك يعني أنّ كل يهودي هناك كتب رسالة بهذا الشأن.

لقد وصل عدد المهجّرين الذين أُخرجوا من العراق بغير حق - في عهد الطاغية صدام في السبعينات - حوالي ٤٠ ألفاً أو يزيدون، فلو كان كل واحد منهم يقوم بدوره الاعلامي ضد من ظلمه لتحقيق شيء من التغيير في الوضع.

إذاً إنّ دور الثقافة والإعلام دور حاسم، وهما ركنان أساسيان

من أركان النهضة والتغيير في كل مكان.
لذلك يجب على كل واحدٍ منا أن يتحمل دوره في نشر الثقافة
النهضوية، والرؤية الرسالية الجهادية في الأمة.



الفصل الثالث:

مسؤوليتنا تجاه الحركة الرسالية

١- الوحدة الاسلامية ومسؤولية العلماء

٢- الصراع مع الجاهلية مسؤوليتكم الاولى

الوحدة الاسلامية ومسؤولية العلماء

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْبَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

الوحدة المبدئية سبيل البركة

إذا بارك ربنا أمراً، وإذا خذل آخر مُحَقِّق. وبركة الله تكون

بتفاعل مجموعة في ذلك الامر، فالعمل الصالح يرفعه الله، والكلمة الطيبة تصعد اليه، والاخلاص في العمل لوجهه ينمو، وكذلك الصدقات، أما الربا فيمحقه.

ومن أبرز ما تتجلى فيه بركة الله سبحانه وتعالى هي الوحدة، فالوحدة ليست حقيقة مجردة واحدة، وانما هي تجل لمجموعة حقائق تصطبغ بها حركة الانسان، فاذا اجتمعت وتفاعلت هذه الحقائق تُسمى بالوحدة.

والله تعالى يجعل بركته في الوحدة، أي يجعل الوحدة طريقاً الى نصره، ووسيلة الى تأييده، وسبباً لتوكل المؤمنين عليه. لأنَّ الوحدة ترمز الى الاخلاص والتفاني والتضحية، والى مجموعة من الخصال الحميدة التي من دونها لا يمكن أن تتحقق، وهي ايضا ترمز الى صدق العمل وصلاح الخطة وسلامة القيادة والمسيرة، وترمز بالتالي الى انتخاب القيادة الرسالية.

والله تعالى حين يحدثنا عن نبينا الاكرم محمد ﷺ في سورة آل عمران - التي تتحدث عن الوحدة الرسالية وطريقة تناميها - يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

فتلك البعثة انما هي نعمة كبيرة ككل نعم الله، ولكن الرسالة اعظم، لأنها توحد طاقات الامة، وقد أشار تعالى الى هذه الحقيقة

١ - سورة آل عمران: ١٦٤.

في هذه السورة ايضاً فقال:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١).

إنَّ القيادة الالهية هي قيادة الرحمة، وتجميع الطاقات، وليس دفعها بعيداً عن محور الرسالة:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾.

ذلك اللين الذي يحوي في داخله حزماً عظيماً يتجلى في الاستغفار ويتجلى في المشورة ولكنه ينطوي على حزم لأنَّ الله تعالى يقول إكمالاً للآية:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

إنَّ لين الرسالة لا يتجاوز حدود أوامر الله وقيمه، بل هو من أجل أوامر الله وتضحية بالمظهر من أجل الجوهر، وبالاسلوب من أجل المحتوى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾.

يبقى العزم والقرار بيد الرسول، فالقيادة الرسالية نعمة عظيمة، ومن دونها تبقى كل النعم ناقصة.

والولاية الالهية تعني الخضوع للقيادة، والخضوع لهذه النعمة هو أسمى وأعلى درجات نعم الله:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

١ - سورة آل عمران: ١٥٩.

أَنْفُسِهِمْ ﴿١﴾.

فاذا كانت النعمة العظمى هي الرسالة وشخص الرسول فإنَّ الالتفاف حول الرسالة سيصبح الواجب الاكبر والفريضة الالهم.

التوكل يعني اتباع القيادة

إذن الوحدة التي تتجلى في القيادة وفي سائر الصفات الحميدة هي التي تهيم الظروف لرحمة الله سبحانه وتعالى لانه يقول في ضمن هذا السياق ايضاً:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

التوكل لا يعني لقلقة لسان بعبارة (توكلت على الله) وانما يعني تطبيق منهاج الله وبرمجة الاعمال حسب ما أراد الله واتباع القيادة الرسالية والمفاهيم الصحيحة للعمل.

وفي السياق القرآني تطرح الآية السابقة (أي الآية ١٥٩): العفو، والاستغفار عن المؤمنين، والمشورة، وهو معنى التوكل حيث يقول الله تعالى في نهاية الآية:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٣).

١- سورة آل عمران: ١٦٤.

٢- سورة آل عمران: ١٦٠.

٣- سورة آل عمران: ١٥٩.

وبالتالي فالتوكل يعني اتباع الحق، وليس اتباع الوساطات.

الوحدة حقيقة راسخة لا شعارات

الوحدة لا يمكن أن تتحقق برفع شعاراتها، بينما تجد خلفها تكريس الخلافات والتحزبات والطائفيات والقوميات والعنصريات والمحوريات الشخصية. الوحدة حقيقة لا بد أن توجد، فهي بذرة تنبت في قلب المؤمن، ثم تنمو شيئاً فشيئاً حتى تصبح دوحة وارفة الظلال عظيمة الثمار.

تبدأ الوحدة من حسن الظن بالآخران، فالذي يسيء الظن باخوانه لا يمكن أن يتحد معهم، وهي تعني أن تحب لاخوانك ما تحب لنفسك. أما إذا أحببت لهم ما تحبه لأعدائك فلا يمكن أن تتحد معهم، وتعني أيضاً أن تقول الكلمة الطيبة، فالرجل الفظ الغليظ الذي اعتاد على الكلمات البذيئة، وعلى إسقاط هيبة الآخرين في نفسه وعند الآخرين، لا يمكن أن يتحد معهم، لذلك يقول الله تعالى:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢).

١- سورة الإسراء: ٥٣.

٢- سورة المائدة: ٢.

اما حينما تكف يدك عن اخوانك وتنطوي على نفسك في زاوية لتعمل أحادياً، وتريد أن تقرأ وتدرس وتطالع وتعمل في الساحة فردياً فلا تُرتجى وحدة منك، لأنَّ نتيجة ذلك تكريس الفردية والانطواء والابتعاد عن الساحة وتقبل الافكار الصوفية.

الوحدة تعني أن تجتمع مع الآخرين، حتى في عبادتك وفي علاقتك مع الله سبحانه وتعالى، فتصلي في المسجد لأنه:

«لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ»^(١).

وتعني وضوح الهدف، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف نتعاون ونتحد، وهدفنا هو: إسقاط الطغاة. واذا كنا كذلك فعلينا أن نفخر بكل عمل، ونؤيد كل من يسير في هذا الطريق، ونرفع ذكرى شهدائنا، ونهتم بعاملينا وعلمائنا وبمفكرينا جميعاً.

لنتنافس على العمل لا على الشعارات الخاوية، ونفتخر بمقدار الانتاج وليس بأسلوبه، فالله سبحانه وتعالى خلق العالم لكل الناس، وموارده الطبيعية تسعهم جميعاً، فلا تجد شخصين يتصارعان على مقدار الاوكسجين الذي يتنفسانه لانه لعامة الناس، كذلك فإنَّ ساحة العمل واسعة، فلماذا يتحول التنافس بين العاملين - أحياناً - الى صراع؟

هناك من يزعم بان تضعيف الحركات الاسلامية وتقزيمها ينفع الاسلام؟!

١ - دعائم الاسلام، ج ١، ص ١٤٨. عن الامام علي عليه السلام.

إنَّ هذا خطأ فظيع جداً، لأنَّ هذه الحركات التي أنتجت تياراً إسلامياً ضخماً، والتي هي هدف الدعايات المغرضة من قبل أعداء الاسلام، والتي أعطت حتى الان مئات الالاف من الشهداء لأجل الاسلام، وربت المؤمنين على القيم والتعاليم الغراء لا يحق لنا تقزيمها لمصالح عدوانية.

والبعض الآخر يزعم أنَّ تحديد الشخصيات الاسلامية والمحاور الدينية سيكون في مصلحة الامة.

وهذا ايضاً خطأ، فكلُّ شخصية إسلامية تعمل اليوم في الساحة هي ملك الامة جميعاً، وسوف تكون طريقاً لتربيتها والتعجيل بالنهضة الاسلامية.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

هنا يقول ربنا لرسوله ﷺ قل لعبادي المؤمنين لماذا تختلفون مع بعضكم، ولماذا يتهم بعضكم بعضاً، فالوحدة ليست كلمة أو شعارات، بل عمل، وتضحية، وسعي، وخضوع لبرامج الله. هذه هي أسباب الوحدة. وهذه هي النقطة الاولى.

أما ثانياً: إنَّ الانسان بطبعه ليس موحّداً، فاذا تُرك الانسان لطبعه نحى نحو التفرقة. كما إنَّ طبائع الناس وأذواقهم وآراءهم متنوعة، كلُّ له مصلحة ولديه فكرة. ثم ان الاهواء بذاتها مختلفة عن بعضها. ولكن الدين والرسالة هي التي توحد الناس اذا تجملت

١ - سورة الاسراء: ٥٣.

في اشخاص وبالذات في علماء الدين، لأنهم مراكز تجلي بركة الله سبحانه وتعالى، وتجسيد الرسالة الالهية.

عالم الدين في المجتمع ينبغي أن يكون محوراً للوحدة وحبلاً للاعتصام، أما اذا كان عالم الدين وسيلة للتفرقة وسبباً للخلاف ومثيراً للفتن، فان ذلك لخلل فيه وليس في الدين، بل يدل هذا على أن الرسالة السماوية لم تترسّخ في نفسه بصورة كاملة.

لقد كانت الحوزات العلمية عبر التاريخ عامل وحدة الجماهير، حيث كان يدرس فيها الاسود والابيض والاسمر ومن مختلف اللغات واللهجات، وكانوا يسكنون في غرف واحدة في المدارس، ولذلك كان عالم الدين فوق الاتجاهات والعنصريات والعصبيات والمحوريات وكان يعيش للجميع من دون أن يطلب أجراً ولا شكراً.

وعلى علماء الدين في المستقبل أن يكونوا قادة الامم، لأن الرسول ﷺ قال:

«إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^(١).

«عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٢).

إذا أردت أن تقوم بدور أنبياء بني إسرائيل فلا بد أن تربي نفسك على صفاتهم، ومن أبرزها تلك التي جاءت في سورة آل عمران: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فقلب العالم يجب أن يكون

١- الكافي، ج ١، ص ٣٢.

٢- بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢.

قلباً كبيراً وخاضعاً أمام الناس لكي يلتف الناس حوله.

إنَّ الامة اليوم مليئة بالمشاكل، فالف مليون مسلم مستضعف وفقير وبائس ومعتدى عليه، وافغانستان خير شاهد على ذلك، فيها هي القوى الكبرى العسكرية تعتدي عليه وتستخدم أعتى ألوان الفتك والدمار ضده، حيث يُقال: إنَّ أكبر كمية من الاسلحة الكيماوية التي استخدمت في العالم كانت في أفغانستان.

ولا يكتفون بالرجال والنساء، فيها هي البعثات التبشيرية تسرق الاطفال وتبيعهم في سوق النخاسين في العالم، وهناك احصائية تقول: إنَّ مائة ألف طفل أفغاني سُرقوا من قبل الاتحاد السوفيتي ليربوهم على الاحاد.

لقد أعطى الشعب الافغاني خمسة ملايين لاجئ (بقدر نفوس دول الخليج) بينما أموال البترول تذهب الى جيب المستكبرين، وفي الوقت الذي يفكر فيه حكام الخليج في القضاء على الاسلام، فإن الشعوب الاسلامية نائمة.

ماذا تصنع الشعوب الاسلامية ومن الذي ينقذها، ويوحد طاقاتها؟

إنها جريمة - وما أكبرها من جريمة - أن ينشغل العلماء والمتعلمون بالخلافات، بينما الامة الاسلامية تُذبح وتُهتك حرمتها. من المسؤول عن هذه المذابح؟ هل هم البعثيون؟ ام الروس؟ ام الامريكيون؟ ام نحن أيضاً مسؤولون؟

إذا وقفنا يوم القيامة أمام محكمة العدل الإلهي وقال سبحانه
وتعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١) فيماذا نجيب ربنا؟ هل نجيبه
باننا كنا مشغولين بالخلافات والنزاعات على حطام الدنيا، ام ماذا؟
إذن لا بد أن ننمي في أنفسنا روح الوحدة، فكل الامة مسؤولة
أمام الله يوم يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنبٌ
واحد.

١ - سورة الصافات: ٢٤.

الصراع مع الجاهلية مسؤوليتكم الاولى

إذا وجَّه الانسان صراعه الحقيقي نحو الباطل الذي تمثله الجاهلية التي تتجسَّد بدورها في الطاغوت وفي نظامه وفكره وإدارته، فانه في كل خطوة يخطوها يجعل بحسابه عند الله حسنة وتُحى منه سيئة.

وهذه هي الشفاعة بالمعنى الحقيقي للكلمة وبالمعنى الصحيح والمقبول لها، فهي تعني:

أن تكون مسيرتك العامة متجهة الى الله سبحانه وتعالى والى التكامل في ذاتك والاصلاح في مجتمعك، ويكون صراعك الحقيقي مع الباطل والشيطان وبالتالي مع الطاغوت.

ولكن اذا كان الانسان ضعيفاً أمام الصراع، وانهزم نفسياً أمام مشاكل وصعوبات المجابهة مع الباطل، ولم يشأ أن يقدم التضحيات الكافية من شخصيته أو من نفسه أو من ماله أو مما يتعلق به، فإنَّ سنة الله في الحياة تقضي بأن يصارع الحق فيصرع.

الصراع طبيعة الحياة

والصراع مع الجاهلية صراع ممتد مع الزمن، وإذا اختلفت صورته وأشكاله فلا تختلف طبيعته وجوهره، وإذا اختلف الأشخاص والشعارات فلا تختلف حقيقته، إلا أن على الإنسان أن يستخدم كل ما أوتي من العقل، وأن يفكر تفكيراً جدياً بعيداً عن الهوى والمصلحة والغرور، ثم يقيم الأوضاع حتى يعرف الحق من الباطل.

وقد يعجز الإنسان في هذا المجال، أو يخيل إليه بان غيوم الشبهات وحجب الضلالة داكنة الى حدٍّ يرى بأن فكره وعقله لا يستطيعان أن يثقباهما، آنئذ عليه أن يتوسل متضرعاً الى الله تعالى حتى يؤيده ويسدده للتفكير الجدي ولا استخدام كل ما أوتي من العقل حتى يفهم الحق: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَرِنِي الْحَقَّ حَقًّا فَاتَّبِعْهُ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا فَأَجْتَنِبْهُ»^(١).

وإذا لم يجتهد الإنسان ليعرف الحقيقة، ولم يتحمل مسؤولية الصراع مع الباطل، فسوف يندفع بطريقة أو باخرى الى مصارعة الحق لأجل الباطل، وهذه حقيقة لا ريب فيها.

دوافع الدفاع عن الحق

ما الذي يدفعنا ويشجعنا الى تحمل تبعات الحق ومسؤولياته؟

١ - بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٢٢.

ما الذي يدفعنا للوقوف صامدين مدافعين عما نعتقد بانه حق بعد أن اجتهدنا بعقولنا وليس باهوائنا من أجل معرفته؟
تدفعنا لذلك أمور ثلاثة هي:

أولاً: الباطل المتجسّد في الاقلية

إنّ الذين يؤيدون الباطل في هذا الكون هم (الاقلية) عدداً وعدة، ولكن الذي يجعلهم يستولون على الحياة ويتسلطون على رقاب الناس إنما هو سكوت أهل الحق ومن يجب عليه أن يؤيده.

فمن الذي يتحكم في رقاب الملايين من البشر؟ اليس كبار الرأسماليين والمستغلين المفسدين من الصحفيين والعلماء المأجورين؟ هذا في المعسكر الغربي. وأما في المعسكر الشرقي فهم كبار الحزبيين والمتنفعين من وراء الحزب المتسلط.

ولكن أين موقع سائر الناس - في الولايات المتحدة وروسيا وأفريقيا وآسيا - من الحياة؟ أين موقع المحروم، والمستضعف، والبائس، والمسكين الذي لا يملك شيئاً؟

وحينما نصر الحق سنفهم من الذي يقف معنا ومن الذي يقف ضدنا، وسنرى أنّ الذي يقف ضدنا هم أولئك المستكبرون ومن يتبعهم من الطواغيت في بلادنا.

أمّا من سيقف معنا فهم الجماهير الهادرة ذات الطاقات الأوسع من البحر والقدرات الأكبر من خزائن الأرض.

اننا لا نخشى الصراع مع الجاهلية، بل هي التي تخشى الصراع معنا، لاننا نعلم بانهم لا يشكلون الاكثرية، وانهم قد خدعوا الناس، ولذلك سنفضحهم على طبيعتهم.

ونحن حينما نقول الجاهلية لا نقصد نظاماً حاكماً في الجزيرة العربية، أو اقزماً حاكماً في بلاد المسلمين هنا وهناك، وإنما نقصد بها أسياد هؤلاء.

والآن يوجد تملل كبير في أوروبا الغربية - التي تُعتبر قلعة من قلاع الرأسمالية والاستكبار في العالم - فالشباب الاوروبي غير راضٍ عما يجري في بلاده ولكنه يفقد البديل، ولو كُشف له البديل لانتفض وتحرك.

الحركة الرسالية

إنَّ أحد المفكرين الشيوعيين وهو (روجيه غارودي) الذي كان يُعتبر بالامس القريب في مصاف (ماركس وانجلز ولينين وماوتسي تونغ) بدأ يتراجع ويقول ويكتب بانه قد اكتشف بعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران بأنَّ الدافع الذي يحرك التاريخ ليس الاقتصاد وحده وإنما الدين أيضاً.

وان اساتذة جامعة (السوربون) في فرنسا يفتشون الآن عن كراس حول الاسلام ليقرؤوه! ولقد أسلم خلال ثلاثة أعوام (١٢ الف) إنسان في فرنسا جميعهم من الطبقات المثقفة الواعية.

إننا إذا انتفضنا وقمنا قياماً حقيقياً من أجل الحق الذي لا يشوبه شيء فسوف نتصر باذن الله على الجاهلية وأسيادها.

ثانياً: الاقدام والتوكل على الله

يجب التوكل في كافة الاحوال والتقلبات على الله تعالى، فهو الذي خلق السماوات والارض، وهو الذي يخرج الحي من الميت والميت من الحي، ويكوّر الليل والنهار، ويولج بعضهما في بعض، ويخرج الحبة الصغيرة من باطن الارض وينميها. فلماذا نخشى غيره وهو أقرب إلينا من حبل الوريد؟

حينما تزداد علاقتنا متانة بالله آتئذ نشعر باننا نستطيع أن نقاوم كل الطغاة والجلادين. إذن ان ايماننا بالله يجعلنا نختار الطريق الاصعب ونتفض ونقاوم الجاهلية بكل شجاعة.

ثالثاً: التمسك بالحق ولو كان شائكاً

إن الصراع موجود داخل الانسان، والسبب أنه خلق هكذا:

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(١).

فالانسان يجب أن يتخذ موقفاً واضحاً في هذه الدنيا، إما مع الحق أو مع الباطل، فسكوت الانسان عن ضياع الحق وجهوده في المعركة الدائرة بين الحق والباطل يُحسب ضده، أي انه سيُعتبر مع

١ - سورة طه: ١٢٣.

الباطل.

إنَّ الكثير في العالم فضلوا العيش الرغيد بعيداً عن المشاكل، لذلك حينما جاءهم أهل الحق وطلبوا منهم النصره لم يستجيبوا لهم، ولكن دوران الحياة أجبرهم بأن يقفوا الى جانب الباطل، وهكذا هو حكم الله على الانسان.

فأهل الكوفة رفضوا الوقوف مع مسلم بن عقيل، وكانت النتيجة أنهم جاؤوا بأنفسهم الى قتال الامام الحسين عليه السلام لان بن زياد أعلن بعد ما سيطر على الكوفة ان من لا يخرج الى قتال الحسين عليه السلام سيضرب عنقه.

ونتيجة لقرار ابن زياد بقتال الحسين عليه السلام وأصحابه قُتل من أهل الكوفة مقتلة عظيمة، حيث أدخلوا في كل بيت من بيوت الكوفة العزاء، وبعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام استمرت المجازر الرهيبة التي ألحقت بهم الويل والدمار.

المخطط الكبير

إننا الان نتحمل مسؤولية كبيرة كما يتحملها كل المؤمنين الذين يتواجدون في اقطار العالم الاسلامي ويحملون ذات المبدأ وذات الاهداف. فالهجمة شرسة، والمخطط الاستكباري الذي هو بوحى من الشيطان مخطط جهنمي.

إنَّ القضية ليست قضية تسلط الانظمة الطاغية على جزء من

أرضنا، أو أجزاء من بلادنا، وإنما هي أوسع من كل ذلك، فهم يريدون إبادة شخصيتنا. لانهم بعد الحرب العالمية الثانية حاولوا تغييرها بطرق عديدة، ففي البداية حاولوا ضرب المفكرين الاسلاميين واعدامهم، ثم نشروا الكتب والصحف المفسدة، ورتبوا الاذاعات المضللة، وحاولوا افساد شبابنا وضئائنا، ونشروا شبكات مترامية من الاحزاب العميلة في بلادنا هنا وهناك وتحت أسماء قومية أو شعارات وطنية. وبعد ذلك واذا بهم يفاجئون بثورة اسلامية تنفجر في إيران بقيادة رجل يصفه بعض الكتاب بانه واحد من اصحاب الرسول ﷺ قفز ١٤ قرناً.

لان هذا الرجل نبع من التراب الاصيل، ومن الواقع الاسلامي الحقيقي فكانت ثورته منتصرة.

الصمود والتحدي في مجابهة الباطل

إنَّ الثورة الإسلامية قد انتصرت، وحينها استقطبت إهتمام القوى المستكبرة، فقامت بخطة جهنمية وعريضة جداً وعلى امتداد أفق العالم الاسلامي كله، بل على امتداد العالم حيث يوجد مستضعف، لمواجهة آثار هذا الانتصار.

فهم لا يرضون منا هذه المرة أن نستسلم فقط، وانما يريدون أن يحطمونا حتى لا يُبقوا لنا نفخ نار. ولكننا سنقف صامدين في هذه المجابهة، وعلى كل المسلمين بدورهم الوقوف ولكن بشرط المعرفة

المسبقة بأن هذه المجابهة التي نحن جميعاً نقاومها هي مجابهة ساخنة دامية تتضمن الصعاب.

والذي لا يستطيع أن يجابهه أو لا يحدث نفسه بذلك فإنه سيجد نفسه في يوم من الايام - شاء أم أبى - في صف الكفار.

فلا بد من مهاجمة العدو ومقارعته بالافكار الصحيحة، لانهم قد يتلبسون بملابس عديدة، فتارة يصبحون تقدميين جداً ويعتبرون المسلمين رجعيين والفكر الاسلامي فكراً رجعياً، ولكننا لن نتزلزل بل سنستقيم على طريق الحق مهما كانت التهم، فقد نسبوا هذه التهمة بالذات الى الرسول ﷺ والى الامام علي عليه السلام اذ كانوا يشيعون بأن من ينتمي الى دين الرسول من الشباب صابئ، أي إن الشاب الفاقد للإرادة والوعي هو الذي يترك دين وتقاليد آباءه ويصبو الى دين الرسول ﷺ.

إن الاستعمار يملك أساليب عديدة سيستخدمها جميعاً، وكل من كانت مجابهته أقوى وصراعه أشد فسوف يكون نصيبه من بلاء المستكبرين أكثر.

لذلك لا يحق لنا بأي حال من الاحوال أن نفكر في الجزئيات، فالاستعمار وأتباعه بدأوا يحدثون الناس في البلاد الاسلامية عن الاختلاف بين المسلمين في طريقة الوضوء وأحكام الصلاة، فالحذر من الوقوع في شرك الشيطان الذي يريد أن يضرب الناس بعضهم ببعض.

إنّ هذه الإثارات مصيدة الشيطان والاستكبار، وانه شرك الطغاة الذي ينصبوه لنا. فلا نكن قشريين، فان الذين قاوموا الائمة الهداة كانوا يفتشون عن مثل هذه الامور ويأخذونها على الائمة عليهم السلام. اولئك الذين كفروا بالقرآن وكتبوا كتباً ضده، كذلك فتشوا عن بعض الامور المتشابهة وضربوا هذه الكلمة بالاخري ورتبوا منها تناقضاً وكتبوا (تهافت القرآن)، وكذلك ايضاً فعل ويفعل المستشرقون، فهل القرآن متهافت، وهل كان الائمة على باطل؟

اننا نقول للعالم: إنّ هؤلاء الذين يحدثونكم عن هذه الامور الخلافية الجزئية إنما لاجل تضليلكم ومحاولة سلب عقولكم وقدركم على التفكير، ليجعلوكم تبحثون عن قضايا جزئية وكأنها اكتشافات عظيمة.

لقد استطاع الاستعمار أن يضرب بعضنا ببعض حينما انغمرنا في الجزئيات وساعدناهم على استعمارنا واستغلال مواردنا.

على المسلمين جميعاً أن يحملوا افكارهم عالية، لأنهم يحملون فكراً سليماً، فالاستعمار يخاف من الفكر السليم، ومن اللسان الناطق بالحق، ومن القلم الصادق.



الفصل الرابع:

الوحدة ركيزة العمل الرسالي

- ١- توحيد الامة عبر توحيد الحركات
- ٢- الحركة الاسلامية بين الشورى والتحزب
- ٣- الحركة الاسلامية بين الصراع والتنافس
- ٤- تباين الآراء في خدمة النهضة

توحيد الامة عبر توحيد الحركات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

لولا تجلي إرادة الله في الشعب الإيراني المسلم لما كان لانتصاره على الطغيان معنى. وإذا كانت إرادة الله قد قررت مصير فرعون في يوم عظيم من أيام الله، فإن إرادة الله قد قررت نهاية الطغيان في إيران وعلى رأسه الشاه الخائن، ولا ننسى أن الله سبحانه وتعالى قد

١ - سورة آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥.

أمر موسى ﷺ بأن يذكر بني اسرائيل بأيام الله:
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾^(١).

اعتبر رب العزة سبحانه وتعالى يوم نجاة المستضعفين من بني اسرائيل من نير المستكبرين يوم عيد من أيام الله المشهودة، وكذلك فان اليوم الذي نصر الله فيه عباده في إيران من نير فرعون العصر هو يوم من أيامه، لانه في هذا اليوم تجلت فيه ارادة الله كما تجلت هذه الارادة في ذلك اليوم.

إنه ليس عبثاً أن يأمر الله نبيه موسى ﷺ بأن يذكر بني اسرائيل بأيام الله، وليس عبثاً أن نتخذ كل يوم مشهود عيداً. إنما ذلك لحكمة وهي أن نذكر أنفسنا بعد ذلك اليوم بالعوامل التي كانت سبباً لتجلي إرادة الله في هذا اليوم، والتي بدورها قد هيأت أرضية الانتصار، ولكي نحافظ عليها ونحاول أن نتخذ منها مرة أخرى منطلقاً جديداً لتوسيع رقعة الانتصار.

تقييم الثورة

يحق لنا أن نتساءل: لماذا نصر الله عباده المستضعفين في ايران، وما هي العوامل التي وقفت وراء هذا الانتصار، وكيف تُخلق مثل هذه العوامل لكي نكرسها في واقعنا؟

١ - سورة ابراهيم: ٥.

يؤسفني أن أقول بأن المسلمين في أنحاء الارض لم يستوعبوا هذه التجربة العظيمة، وما فيها من عبر ومناهج. ولا يزال قسم كبير منهم متأثراً بأفكار دخيلة حول تقييم هذه التجربة، والكثير لا يقيّم هذه التجربة من واقع المناهج التي انبعثت منها، لأنّ لكل تجربة منهاجاً خاصاً تُقيّم به.

وإذا كانت هذه التجربة إسلامية فعلياً أن نعود الى المناهج الإسلامية في تقييمها لا أن نقيّمها عبر المناهج الغربية أو الشرقية. ولو رجعنا الى القرآن والسنة لاستطعنا أن نقيّمها بشكل أوضح، وكذلك لو رجعنا الى التاريخ الجهادي للامة الإسلامية.

إنّ الدروس والعبر، ومعرفة العوامل الحقيقية لنشوتها وانتصارها لا تزال مجهولة لدى الكثير. لذلك إنني أدعو جميع الكتاب والمفكرين والمثقفين وعلماء الدين أن يحاولوا دراسة هذه الثورة، وعقد الندوات حولها، وبحث جوانبها المختلفة، وأقول لهم: يجب عليكم أن تنقلوا هذه التجربة الى مجتمعاتكم. أدعو ذوي العقول أن يحاولوا فهم هذه التجربة، وأن يستنبطوا منها روحها وكذلك العوامل المحركة لها، ولا يقتصروا على الظواهر الشكلية، لكي تكون منهاجاً مستقبلياً لأمتنا.

بالطبع ليس معنى ذلك إنني أدعو للتقليد، إنما أدعو الى إغناء تجاربهم بهذه التجربة، والحديث الشريف يقول:

«أَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ»^(١).
«وَفِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ»^(٢).

الوحدة

الوحدة هي من أعظم الدروس التي نستوحيها من هذه الثورة الإسلامية، فالوحدة وتناسي الخلافات وتعبئة الطاقات عبر تركيز القوة، والانضباط في العمل الرسالي، هي أهم الدروس فيها. الوحدة ينبغي أن تسبقها عوامل مكوّنة لها، لأنها لا تتم إلا عبر مجموعة متكاملة من العوامل النفسية والاجتماعية والعقائدية، ومن دونها لن تتحقق الوحدة.

فمن دون وحدة القيادة كيف يمكن توحيد الطاقات، ومن دون وحدة المنهاج كيف يمكن توحيد المسير، ومن دون ذوبان الفوارق كيف يمكن تركيز القوة وكيف تتلاقح الافكار. كل هذه العوامل تعود بالتالي الى عامل واحد يسميه القرآن بالتقوى.

إذا وصلت الامة في تقواها الى مرحلة سيادة التقوى على علاقاتها الاجتماعية ورؤيتها الحضارية، فبشّر هذه الامة بإمكان الوحدة وبشّر ها أيضاً بالانتصار، أما إذا كانت التقوى مجرد علاقات بين الانسان وربه وفي مجال الصلاة والصيام دون أن تدخل في مجال علاقاتك الاجتماعية والرسالية، فإنّ هذه العلاقات

١- من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٥.

٢- الكافي، ج ٨، ص ٢٢.

سوف تنهار، لأنَّ التقوى في العلاقات أن لا تغتاب أحاك ولا تسبه ولا تتحداه، وعندما تشتد أزمة العلاقات تصير الوحدة أملاً لا يحلم به الواقعيون، بل يحلم به الذين يعيشون في عالم الخيال.

متى نتحد

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُؤَلَّفُ الشَّمْلُ إِلَّا بِالْإِيْمَانِ، وتطبيق شرائع الله سبحانه في العلاقات والتعامل مع الآخرين. ولنقرأ عن بعض هذه الشرائع في الآيات لنذكر عمق هذه الفكرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾^(١).
﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢).

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣).

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤).

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٥).

١- سورة الحجرات: ١١.

٢- سورة الإسراء: ٣٥.

٣- سورة البقرة: ٨٣.

٤- سورة العنكبوت: ٤٦.

٥- سورة النحل: ١٢٥.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

إذا بلغت الامة تطبيق شرائع الله على نفسها فانها تكون قد بلغت القمة في التقوى.

ونقرأ في آية أخرى من آيات الكتاب المجيد:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢).

هذا خطاب للمؤمنين الذين يطيعون ربهم في الاعتصام بحبله بأن يذكروا تلك الايام السوداء التي مرت عليهم قبل الاعتصام بحبل الله، ويتذكروا نعمة الله عليهم بالتقوى والتوحيد.

هذه هي العبرة التي يمكن أن نستوحيها، فمن دون الوحدة لا إنتصار، ومن دون التقوى لا وحدة، ومن دون أن نحقق العوامل الحقيقية له في أنفسنا لا تغيير نحو الأفضل. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٣).

١- سورة الحجرات: ١٢.

٢- سورة آل عمران: ١٠٣.

٣- سورة الرعد: ١١.

إذن لندعو أمتنا تستقبل إرادة الله وإرادته رحمة، ومن الخطأ جداً أن نغلق أبواب أنفسنا عن هذه الإرادة ونظل عمياناً، كالذي يغلق نوافذه عن الشمس ويلوم الشمس بأنها لا تطلع على بيته.

العالم الاسلامي لم يستطع بعد تجربة الثورة الإسلامية في ايران - مع الاسف الشديد - أن يفوز بدولة واحدة مثل إيران، وهذا تساؤل ينبغي أن نظرحه على علماء الدين والجماهير المسلمة والحركات الإسلامية في كل مكان.

أطاغوتكم أقوى من شاه ايران؟ أم أن شعوبكم أضعف من هذا الشعب؟ أم أن الله سبحانه وتعالى وعده بالنصر ولم يعدكم؟ أم أن انتصار هؤلاء كان بسبب لغتهم أو لون أجسامهم؟

وأجيب عن هذا نيابة عن الجميع، وأقول: إن عامل الوحدة وقبله عامل التقوى لم يكونا موجودين. أما عامل الوحدة فمعروف.

إذ الوحدة قد تكون بين الانظمة الطاغوتية، والتي نرفضها سلفاً، لأن وحدة الطغاة لا تكون إلا على حساب المستضعفين ومن أجل التكالب على ثرواتهم. أما أن تكون الوحدة بين الجماهير بصورة مباشرة فهذه صعبة المنال بسبب وقوف الطغاة بثقلهم أمام تحقيق هذا المطلب، فهم لا يسمحون للامة الإسلامية وجماهيرها أن تنبث مرة واحدة، وتتوحد ضمن فئات، وتتحرك باتجاه القضية الواحدة!!

كيف تتم الوحدة

والوحدة لا يمكن أن تتم إلا عبر المؤسسات الاجتماعية
النظيفة، ثم تنتقل هذه الوحدة الى الجماهير، وحينها تتساقط
الأنظمة كأوراق الخريف. لذلك أمرنا ربنا بالدعوة الى الخير، ومن
أبرز مصاديقه الوحدة، وقال:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

لتكن في الامة الاسلامية قنوات نظيفة لتوحيد الطاقات،
ولتعمل هذه القنوات على توحيد الصف، ولتكن واسطة خير في
نشر رسالة السماء، وهذه القنوات حسب مفهومنا الحديث هي
الحركات الاسلامية التي عبر اتحادها تتحد الأمة، لأن هذه الوحدة
هي مقدمة لوحدة الجماهير التي يُستبعد أن تتحقق إلا عبرها، وهي
بديلة عن وحدة الانظمة التي تضر كثيراً ولا تنفع.

وهنا نتساءل لماذا لم تتحد الحركات الاسلامية حول محور
واحد؟

إن ميثاق الله سبحانه وتعالى أخذ على كل من أوتي علماً وبصيرة
أن يبينه للناس ولا يكتمه، فاذا رأوا قائداً منحرفاً قاموا ضده، وإذا
رأوا قائداً إسلامياً تناسوا أنفسهم، وارتفعوا عن الحواجز والفوارق،
وسارعوا في توحيد الطاقات تحت اشراف هذا القائد - الفقيه،

١ - سورة آل عمران: ١٠٤.

فالقائد بينهم كالرسول أو خليفته. كيف لا والرسول يقول:

«إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^(١).

إنَّ مسؤولية الحركات الاسلامية لم تكن في يوم من الايام نشر الفصام والخلاف بين أبناء الامة الواحدة، ولم تكن الحركات سبباً للتفرقة العنصرية والطائفية والقومية، بل كانت مسؤوليتهم الكبرى أن يربّوا الامة ويعلموهم كيف يرفعون من مستوياتهم ويعطوهم الامل والرؤية الواضحة، وليس الهدف المرسوم لهذه الحركات ان تدعو الناس الى نفسها، بل تدعو الناس الى الله عبر توحيد الامة.

الرؤية الاستراتيجية

الرؤية الاستراتيجية أحد أهم مظاهر التقوى، بشرط أن تكون قائمة على أساس تعاليم الله سبحانه.

وخلال عقود متطاولة كانت الحركات الاسلامية تجاهد من أجل إقامة حكومة إسلامية، وتصارع اليأس في قلوب الملايين، فبعد أن انتصرت الثورة الاسلامية، نُشر لواء الامل فوق ربوع المسلمين جميعاً. وبالطبع هذه الثورة كانت تمتلك رؤية إستراتيجية واضحة وإلا لما التف حولها المؤمنون، وتفيّروا ظلها، وتفاعلوا معها.

١- الكافي، ج ١، ص ٣٢.

لماذا لم نحقق الأمل بإقامة حكومة إسلامية أخرى؟
ربما كان السبب هو انعدام الاستراتيجية المطلوبة في العمل.
ولكن، لا يزال الوقت في صالحنا، والفرصة لم تنتهِ بعدُ في أن
نتَّحد ونصحح استراتيجيتنا على حسب ما يرسمه لنا القرآن.

الحركة الاسلامية بين الشورى والتحزب

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١).

الضمانة الأكيدة

إنَّ تطبيق الاسلام وإنفاذ المحرومين والمستضعفين لا يكون إلا بالاسلام ذاته.

فبتطبيق الناس جانباً من الاسلام على أنفسهم، وتحولهم

١ - سورة الشورى: ٣٨ - ٤٣.

الى شخصية مؤمنة بالاسلام ومستوعبة للرسالة حقاً وصدقاً، وبانخراطهم في تجمع ايماني صادق، انطلاقاً من الاسلام، ومن أجل الله، وللاهداف التي رسمها الله، وبينها كتابه الكريم.. إن ذلك ضمانه أكيدة لانتشار الاسلام في الارض وتطبيق قوانينه.

إننا إذا وجدنا حالة التخلف والتقهر والبؤس والحرمان في بلادنا، فإن ذلك ليس إلا بسبب ما كسبت أيدينا، فالله تعالى يقول:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

ولولا ما غيّرناه من أنفسنا سابقاً، بعد أن كنا ملتزمين بالاسلام، واعين له، ثم تركناه جانباً، لما غيّر الله تلك النعمة التي أنعمها علينا بالاسلام. نعمة الكرامة والرحمة والرفاه.

واستمرار هذه الحالة تعني بالطبع استمرار الحالة التي نتجت منها حالة الحرمان والبؤس والتخلف والقهر، وبالتالي حالة سيطرة الاجنبي علينا، وإنّ الحل الوحيد لتغيير ذلك مرة أخرى في الاتجاه المعاكس والصحيح هو تغيير ما فسد في أنفسنا.

وربما تكون هذه الفكرة اليوم واضحة عند أكثر الواعين والمهتمين بالحركة الاسلامية، لقد ارتفع كلام الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢) شعاراً لاكثر

١- سورة الروم: ٤١.

٢- سورة الرعد: ١١.

الحركات الاسلامية اليوم إن لم يكن كلها، ولكن هناك اشكال كبير في فهم هذه الحقيقة.

ربما كثير منا يزعم بأن على الآخرين أن يبدؤوا بأنفسهم فيغيروها، أما نحن فقد عمّرنا بالاسلام، وانتهى دورنا، وقد أصبحنا ازكياء أنقياء طاهرين لا نحتاج الى أي شيء، وهنا تكمن الخطورة الحقيقية في فهم الاسلام.

إن الاسلام ليس أداة للتبرير وانما هو أداة للتغيير، وهو ليس أداة للخمول، وانما هو عامل لإثارة النشاط، كما أنه ليس سبباً للتكاسل والالتكالية، بل لا بد أن نحمل راية الاسلام لقيادة الأمة نحو التغيير، وبالتالي فليس من الصحيح أن نتعاس عن العمل من أجل الاسلام وذلك بالاعتماد على الآخرين، أو أن نعتبر أنفسنا ازكياء وأن الخطأ الأكبر هو في عدم تزكية الناس الآخرين أنفسهم.

دعونا نطرح هذا التساؤل على أنفسنا: هل نحن الآن بمستوى حمل شرف الدعوة؟ هل نحن قد غيّرنا أنفسنا في اتجاه التزكية حتى يغيّر الله سبحانه وتعالى ما بحياتنا الى الافضل؟

إن التبرير عملية سهلة، ولكنه الى أين ينتهي؟ ليس هناك أحد يقول إنني لست انساناً طيباً، فكل الناس يدّعون أنهم طيّبون، ولكن من هو الصادق فيهم؟ الصادق هو الذي يكيّف نفسه وحياته مع القيم والمعايير السليمة.

العودة الى القرآن

وبالنسبة لنا نحن المسلمين فأمامنا هذا القرآن الشافع المشفع،
والماحل المصدق، من جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه
ساقه الى النار، كما جاء في الحديث الشريف^(١).

وفي سياق وصاياہ لجابر ابن يزيد الجعفي قال الامام
الصادق عليه السلام:

«وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيًّا حَتَّىٰ لَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ
وَقَالُوا: إِنَّكَ رَجُلٌ سَوَاءٌ، لَمْ يَخْزُنْكَ ذَلِكَ، وَلَوْ قَالُوا: إِنَّكَ رَجُلٌ
صَالِحٌ، لَمْ يَسْرَكَ ذَلِكَ. وَلَكِنْ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ
كُنْتَ سَالِكًا سَبِيلَهُ، زَاهِدًا فِي تَرْغِيدِهِ، رَاغِبًا فِي تَرْغِيدِهِ، خَائِفًا مِنْ
تَخَوُّفِهِ، فَاثْبُتْ وَأَبْشِرْ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا قِيلَ فِيكَ. وَإِنْ كُنْتَ مُبَايِنًا
لِلْقُرْآنِ فَمَاذَا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ؟ إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَعْنِي بِمُجَاهَدَةِ
نَفْسِهِ لِيَغْلِبَهَا عَلَىٰ هَوَاهَا...»^(٢).

إن القرآن هو الحَكَم الفاصل بيننا وبين أهوائنا، فلا بد أن نعود
اليه، فنقرأه جيداً، ونتدبر في آياته، ثم نحاكم أنفسنا.

وهذا الأمر صحيح أيضاً على النطاق الاجتماعي، وفي مجال

١ - قال رسول الله ﷺ: «فَإِذَا التَّبَسَّطَ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ قَطَعَ اللَّيْلُ الْمُظْلِمَ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ
مُشَفِّعٌ، وَمَاجِلٌ مُّصَدِّقٌ، وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ
الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ، وَهُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِأَهْزَلِ»
[الكافي، ج ٢، ص ٥٩٩].

٢ - تحف العقول، ص ٢٨٤.

التجمعات المختلفة، فالتجمع بالتالي ليس إلا شخصية مستوحاة ومنبثقة من مجموعة الافراد الذين يكونونه، فليس التجمع صنفاً أو صورة بعيدة عن الواقع. إنَّ التجمع، سواء كان على شكل حزب أو منظمة أو غير ذلك، فانه نتيجة وخلاصة لسلوكيات الافراد، كل فرد ينتمي الى هذا التجمع يتأثر به ويعكس واقعه بنسبة معينة عليه.

إذن فنحن لا نستطيع أن نبرّر تخلينا عن المسؤولية ونلقي بها على التجمع الذي ننتمي اليه، أو نواله، وكما تكونون يولّى عليكم، كذلك فان القوانين الحاكمة في التجمعات، والعلاقات التي تربط بين أبناء التجمع الواحد، أو تربط بين هذا التجمع وسائر التجمعات الأخرى، إن لم تكن مستوحاة من الاسلام والقرآن، فإن نجاح أي تجمع اسلامي يكون مشكوكاً فيه، وحتى لو انتصر هذا التجمع ونجح، فان نجاحه قد لا يكون في خط الاسلام، فليس كل انتصار انتصاراً. وهناك بعض الانتصارات أسوأ من الهزيمة ذاتها، لأن الانسان اذا انتصر في الواقع المادي بعد أن انهزم في الواقع القيمي والمعنوي، وكانت هزيمته في الجانب المعنوي ثمناً دفعه لانتصاره في الجانب المادي، فان هذا الانتصار هزيمة نكراء بالنسبة إليه.

إنَّ «أَشْجَعَ النَّاسِ مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ»^(١) - كما في الحديث الشريف - وليس الذي ينتصر على خصمه في المعركة، وإنما هو

١ - الأماي [للتصدق]، ص ٢١. عن رسول الله ﷺ.

الذي ينتصر على نفسه، وبالتالي على عدوه الاخطر الذي يحمله بين جنبيه، والذي قد يُدخله غداً الى سواء الجحيم، والذي يدفعه الى أن يتحول من إنسان خلقه الله في أحسن تقويم الى إنسان يرده الله الى أسفل سافلين.

والتجمعات الاسلامية إن لم تكن التعاليم الالهية حاکمة على علاقاتها مع بعضها وفي علاقاتها الذاتية، وفي طريقة اختيارها للمناهج والافعال، فان هذه التجمعات لا تنتصر للاسلام، ولا تستطيع أن تطبقه لو انتصرت مادياً.

والسؤال المطروح الآن: ما هي بصيرة القرآن في مجال التجمعات الاسلامية؟

إنّ التجمع الذي يريد أن يطبق الاسلام غداً، لا بد أن يشكل اليوم الامة الاسلامية المصغرة، وبالتالي فانه يكون نموذجاً لتلك الاطروحة التي يستهدف تطبيقها، لأن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه.

إننا نسعى لبناء أمة إسلامية بإذن الله تعالى، فكيف ينبغي أن تكون هذه الامة، وما علاقة أبنائها ببعضهم؟

البرامج والتعاليم واضحة، ونحن نملك رصيдаً من التجربة التاريخية، ودستوراً مكتوباً ومبيناً، وهو القرآن الحكيم، ولكن من الواجب أولاً أن نطبق هذه التعاليم والبرامج التي نريد أن ننشرها في العالم على أنفسنا، ونحن قادرون على ذلك، أو - على الأقل -

علينا أن نسعى بالقدر الذي نستطيع:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾^(٢).

وما دمنا نستطيع أن نطبق تعاليم الاسلام على أنفسنا وفي تجمعاتنا فلماذا الانتظار أو التقاعس والتباطؤ؟

إذا كنت ظمآنًا وكان الماء قريباً منك، فلماذا تدع نفسك في حالة الظمأ. نحن ظمأ الى الاسلام، فلماذا لا نهل من عذب تعاليمه وتوجيهاته بالقدر الذي نستطيع؟

وإنني أعزو جانباً من عدم انتصار الحركات الاسلامية الى انها لم تستوعب الاسلام في سلوكياتها بالقدر الكافي، وأعزو ذلك بدوره الى أنهم لم يفهموه جيداً، وذلك بسبب التجافي بيننا وبين القرآن الحكيم. إن القرآن هو محور تحركنا، وعلينا أن نجعله شعارنا الذي نتحسس به لحظة بلحظة، لا بد أن نقرأه كتاباً حياً ونطبق آياته يوماً بيوم في كل جوانب سلوكنا.

إننا لو اتخذنا القرآن قائداً، وجعلناه أماناً نستضيء بنوره، ونستشير عقولنا بمواعظه، ونزكي أنفسنا بتعاليمه، لاستطعنا أن نصل الى الهدف المنشود، وهذا ليس فقط واجباً على القيادة الجالسة فوق الهرم، بل هو واجب كل انسان منا، فالقرآن جاء كتاباً للناس جميعاً، يقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم:

١ - سورة التغابن: ١٦.

٢ - سورة آل عمران: ١٠٢.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّٰ فَاتِّمَامًا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(١).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، فَلَا يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ»^(٢).

نعم، فالناس ليسوا بأحق منك في ذلك، وأنت من الناس
والقرآن يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^(٣).

ولم يقصره على فئة معينة، فعلينا جميعاً أن نقرأ القرآن بقدر ما
نستطيع: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٤).

نقرأه ونتدبر في آياته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَا﴾^(٥).

ثم نعمل بالقدر الذي نستطيع من آياته: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا
اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٦).

شروط النصر

والقرآن الحكيم يبين لنا شرائط الانتصار، انظروا في الآية ٣٨

١- سورة الزمر، ٤١.

٢- الكافي، ج ٧، ص ٥١.

٣- سورة آل عمران: ١٣٨.

٤- سورة المزمل: ٢٠.

٥- سورة محمد: ٢٤.

٦- سورة التغابن: ١٦.

من سورة الشورى:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

ترون أنها تحدد شروط النجاح في العمل الاسلامي، ثم في الآية التي بعدها مباشرة أي الآية (٣٩) يقول القرآن:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

كأن السياق القرآني يوحي الينا بأن هذه هي شروط النصر، وإذا أردنا أن نتصر فعلينا أن نطبق هذه الشروط بدقة.

١ - الاستجابة لنداء الحق

الآية (٣٨) هي آية الشورى والتي سميت السورة باسمها، والآية (٣٩) هي آية الانتصار. يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾. وهؤلاء نتمنى أن نكون منهم، فربنا سبحانه وتعالى قد دعانا الى دار ضيافته وهي الجنة، والدعاة الى هذه الدار هم الرسل ﷺ، ونحن قلنا: (لبيك اللهم لبيك) فاستجبنا لربنا وقبلنا نداءه والحمد لله.

٢ - إقامة الصلاة

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾

إن إقامة الصلاة تختلف عن مجرد أداء الصلاة.

إقامة الصلاة تعني أداء الصلاة بشروطها، وفي آية أخرى في سورة الروم يحدّد ربنا سبحانه وتعالى معنى إقامة الصلاة فيقول:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١).

فمن شروط اقامة الصلاة هي: الوحدة، فالصلاة هي البوتقة التي تصهر الانسان:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢).

فتصوغ شخصيته الداخلية وشخصيته الاجتماعية.

انظروا مرة أخرى الى الآية الكريمة:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٣).

أي إقامتكم للصلاة ستعطيكم ضماناً للوحدة التي تُبعدكم عن الشرك، والذي يتجلى ويتجسد في الاختلاف في الدين.

وإقامة الصلاة في الآية موضوع بحثنا تشير الى نفس المعنى وهو الوحدة وتوجّه الجميع الى هدف واحد. فاذاً هناك فرق بين من يصلي وبين من يقيم الصلاة التي هي معراج المؤمن، فهي

١- سورة الروم: ٣١-٣٢.

٢- سورة العنكبوت: ٤٥.

٣- سورة الروم: ٣١-٣٢.

التي تعرج بالمؤمن عن الماديات الضيقة والخلافات الجانبية، وعن
الاهواء والشهوات والرذائل، وترفعه الى مقام العبودية لله، حيث
لا نجد في ذلك المقام أي أثر للخلاف والشقاق.

إن من يركب الطائرة، يرى قبل أن تقلع به أن الابنية والجدران
تفصله عن مشاهدة المناطق الأخرى من المدينة، ولكن حينما تحلّق
الطائرة في الجو، حينها يرى المدينة كلها بلا حواجز ولا فواصل،
وكلما حلقت به أكثر كلما رأى المدينة أكثر وحدة وانسجاماً، وهكذا
كلما عرجت روح الانسان في سماء العبودية لله سبحانه وتعالى، كلما
رأى الناس شيئاً واحداً، وتضاءلت الخلافات، وتهاوت الحواجز،
وأصبح الناس لديه اخوة جميعاً، فالناس: «صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي
الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ» كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه
لمالك الأشتر رضوان الله تعالى عليه^(١).

٣- الشورى

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

إذا أردت أن تعرف هل وصلت الى إقامة الصلاة الحقيقية
فاطرح على نفسك السؤال التالي: إذا كان رأيك شيئاً ورأي صديقك
شيئاً آخر فهل أنت مستعد لتتنازل عن رأيك من أجل المحافظة على
الاتفاق بينكما أم لا؟ هل تبحث عن الرأي السليم عند الآخرين

١ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، ص ٤٢٧.

٢ - سورة الشورى: ٣٨.

أم لا؟ هل تأخذك العزة بالاثم أم لا؟ إن مقيم الصلاة حقاً يعتقد بالشورى وبقبول الرأي الآخر إن كان حقاً: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

ولو كانت العلاقة داخل التجمعات الاسلامية علاقة الشورى لزال الاختلافات والنزاعات، والشورى تعني ان تبحث أنت عن آراء الآخرين، ولا تنتظرهم أن يأتوا بها فتأخذها أو ترفضها. في الديمقراطيات الغربية يقولون: من حق كل مواطن أن يدي برأيه. بينما الاسلام يقول:

أولاً: من واجب كل انسان أن يقول رأيه اذا رأى أنه هو الصحيح، وهو الحق، فالساكت عن الحق شيطان أخرس. وثانياً: من واجب الانسان أن يرى ما عند الآخرين من آراء حقة، ولا ينتظر حتى يبادروا هم بطرحها عليه: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

ويقول ربنا سبحانه في آية أخرى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١).

وإن لم تكن حالة الشورى سائدة في علاقاتنا في الحركات الاسلامية، فلنعمل على خلقها من جديد، «فَلِإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ

١ - سورة آل عمران: ١٥٩.

الْجَمَاعَةَ»^(١)، «وَأَعْلَمَ النَّاسَ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ»^(٢)، و«أَعْقَلَ النَّاسَ مَنْ أَطَاعَ الْعُقَلَاءَ»^(٣).

وفي الحديث الشريف: «خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةٌ كُلُّ مُؤْمِنٍ»^(٤)، وعلى المؤمن أن يبحث ويسأل عن ضالته لكي يتعلّم الحكمة، ف«مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى ذَلِّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً بَقِيَ فِي ذَلِّ الْجَهْلِ أَبَدًا»^(٥).

ان السؤال ليس عيباً:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٦).

إسأل وخذ آراء الآخرين. لماذا التكبر ولماذا الغرور؟

٤ - الانفاق

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٧).

إنّ كل فرد من التجمع الايماني، لا يعيش ذاته وأهواءه، لذلك فهو يفيض بالعطاء، كلُّ يسعى لكي يعطي الآخرين ما يملك، وبعد هذه الآية تأتي آية الانتصار التي تقول:

١ - نهج البلاغة [صحي الصالح]، خطبة ١٢٧، ص ١٨٤.

٢ - من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٥، عن الامام الباقر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ - عيون الحكم والمواعظ، ص ١١٧. عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ - غرر الحكم، ص ٣٦٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ - عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ١، ص ٢٨٥.

٦ - سورة النحل: ٤٣ - ٤٤.

٧ - سورة الشورى: ٣٨.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(١).

المؤمنون هم الذين يكونون هذا التجمع الذي تسوده الاستجابة لله، وإقامة الصلاة، والشورى، والانفاق، فيصبح كالبنيان المرصوص، يقاوم كل معتد وباغ، ولا يسكت حتى يحصل على النصر النهائي.

حكومات المسلمين

هل ما يجري في منطقتنا الإسلامية يتفق وينسجم مع هذه الآية؟

نحن نلاحظ وجود بعض الاتفاقيات الأمنية والدفاعية بين رأس الاستكبار العالمي وبين الحكومات الطاغوتية في المنطقة، فهل تعني هذه الاتفاقيات غير الذل والهوان لهذه البلاد؟ إنها في الواقع لا تعني أكثر من استعمار جديد.

إنَّ الحكومات المسيطرة على شعوبنا المسلمة تقف موقفاً مناقضاً للقرآن حينما تتعاون مع أولئك المستعمرين الذين يكيلون إلينا الضربات المتتالية، ثم يأتون إلى أرضنا وينهبون خيراتها. فماذا قدمت القوى الاستكبارية لمنطقتنا حتى الآن؟

القرآن الحكيم يقول:

١ - سورة الشورى: ٣٩.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(١).

نحن أمام البغي وأمام الظلم الذي ينزل بنا، نجلس ونستريح ونستسلم. إن هذا ليس من شيم الاسلام، ولكن أتعرفون السبب في ذلك؟ أتعرفون لماذا لا يستطيع الحكام مقاومة القوى الاستكبارية؟ لأنهم ظلموا أنفسهم، ولم يقيموا الصلاة، ولم يكن أمرهم شورى بينهم، وبذلك انفصلوا عن شعوبهم.

ولو كانت شعوبهم تقف معهم، لما استطاعت تلك الدول الاجنبية أن تأتي وتغصبنا حقوقنا، فالمشكلة تكمن في حكومات المسلمين الفاسدة.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

ان العفو أمر جيد، ولكن ذلك لا يعني أن نعفو عن الظالم، نحن نعفو عن المستضعف، أما ذاك القوي المتمرد، فلا يجوز أن نعفو عنه، لأن ذلك تسليم لظلمه.

ثم يقول القرآن الحكيم:

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٣).

دائماً يطرح المستكبرون هذه القضية في المنطقة، وهي ان الأمن

١- سورة الشورى: ٣٩.

٢- سورة الشورى: ٤٠.

٣- سورة الشورى: ٤١.

مهَّدَد، بمن مهَّدَد؟ بالشعوب التي تطالب بحقوقها، أم أولئك الذين يظلمونها؟

هم يظلمون ويقهرون ويسلبون، ثم يلقون بمسؤولفة تهديد الأمن على الشعوب الناهضة من أجل حقوقها وكرامتها. إنَّ الظلم هو أكبر تهديد للأمن، واستمرار الظلم أكثر خطورة وتهديداً للأمن من الثورة عليه، ويقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).
أما من يطالب بحقه، فلا شيء عليه.

العمل المطلوب

ولكن لا يعني هذا أن تعمل بصورة عفوية، فحينما تريد أن تطالب بحقوقك لا بد أن تتسلح بالصبر والمغفرة تجاه قومك واخوانك في الدين، حتى تستطيع أن تقاوم الأعداء بشجاعة وثبات، وهذه في الواقع خطة عمل ناجحة على المدى الزمني الطويل.

وأما من يكون اسداً على شعبه فسوف يصبح في الحروب مع العدو نعاماً، حينما يقف في وجه شعبه المظلوم المقهور الذي يطالب بحقوقه وينادي بالاسلام، فان مدفعيته ودبابته تعمل، أما حين يقف أمام العدو المحتل الغاصب، فانه يخور ويستسلم، وسبب

١ - سورة الشورى: ٤٢.

استسلامه للعدو هو ضربه لشعبه.

وهذه هي مشكلة الانسان وربنا يقول:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ الْأُمُورِ﴾^(١).

نرجو أن تسود العلاقة الايمانية بين ابناء الحركات الاسلامية داخل تجمعاتهم، وبينهم خارج تجمعاتهم، ويكونوا يداً واحدة على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، واذا اشتكى منهم عضو تداعى له الجميع بالسهر والحمى.

إن دم المسلم محترم. شرف المسلم وكرامته امور مقدسة في أي ارض وفي أي مكان، ونحن لا نفرق بين افغانستان وجنوب لبنان، وأي مكان آخر ما دامت للاسلام قضية هناك.

كما اننا لا نفرق بين هذا المستكبر وذاك، فالعدو هو العدو:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٢).

نحن لا نستطيع أن نفرق بين طاغوت وطاغوت، ومحاربة الطاغوت ليس فقط عندما يقع ظلمه مباشرة علينا، فيظلمنا ويسلب حقنا، فالكفر هو الكفر، والضلالة هي الضلالة، هل تستطيع أن تسكت عن الحق باعتبار أن هذا الطاغوت صديقنا ولنا مصالح مشتركة معه؟

١ - سورة الشورى: ٤٣.

٢ - سورة الأنفال: ٧٣.

كلا. بل يجب أن يكون عمل الانسان لله، وإذا كان عملنا لله، فكل إنسان مظلوم يجب أن نتصر له، كما أن كل إنسان ظالم يجب أن نقف في وجهه.

إذا كانت الحركات الإسلامية هكذا، فحاربت المستكبرين سواء في الشرق أو الغرب، وناهضت كل الحركات المنحرفة مهما كانت أسماؤها وشعاراتها، وكافحت الصهيونية العالمية، بكل ألوانها ومظاهرها، وكذلك نصرت قضايا الحق أينما كانت، وهبت لنصرة الشعوب المظلومة أتى وُجدت، أتت تكون قد استجابت لله، وكونت ذلك النموذج من الأمة الإسلامية الرسالية القادمة ان شاء الله.

أما اذا فكرنا في مصالحنا، وجزأنا الاسلام، وطبقنا جانباً من أوامر الله وتركنا جانباً، فان ذلك نذير لنا بحرماننا من نصر الله، فالله تعالى لا ينصر إلا من يكون نصيراً له:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١).

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢).

١- سورة محمد: ٧.

٢- سورة الحج: ٤٠.

الحركة الاسلامية بين الصراع والتنافس

في الحياة ظاهرتان:

ظاهرة الصراع.

وظاهرة التنافس.

فالصراع يتم بين الحق والباطل، بين الاسلام والجاهلية.

وفي الصراع يحاول الإنسان أن يتقدم على عدوه عن طريقين:

١ - بناء ذاته.

٢ - القضاء على الطرف الآخر.

ففي الصراع يمسك الانسان بإحدى يديه المحراث ليحي

الارض، ويصنع الآلة في المصنع ليعمر الحياة، وباليدين الأخرى

يمسك السلاح في مواجهة العدوان والظلم.

فاليد الأولى تبني واليد الثانية تهدم.

بينما يختلف الأمر في التنافس، فعند التنافس مع الآخرين

والتسابق معهم في الخيرات، لا بد أن نعمل عملاً واحداً فقط

وهو أن نبني أنفسنا وذواتنا، ونبعد نقاط الضعف عن كياننا، حتى نصبح الأكثر تماسكاً وقوة، وبالتالي سيُحسم التنافس لصالحنا أو سيعمل منافسنا في الطرف الآخر بنفس ما نقوم به من عمل فيتقدم المجتمع جميعاً.

العد التنازلي لتقدم الحركات

والحركات الإسلامية في الساحة الواسعة قد ابتليت في بعض المراحل برؤية شاذة في التنافس، فحولت التنافس الى صراع، وزعمت بأن ما تقوم به من أعمال وما تختتره من أساليب بالنسبة الى أعدائها الجاهليين، تصلح أن تكون أداة ووسيلة بالنسبة الى المنافسين لها في الساحة من اصدقائها الذين يتحركون في نفس الخط.

فلماذا تحولت بعض الحركات الإسلامية الى هذه الحالة؟ لماذا لم تستطع أن تفرق بين أصدقائها الذين تتنافس معهم، وبين أعدائها الذين تتصارع معهم؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد أن ندرس تاريخ الحركات، وننتعمق في نفسية الامة الإسلامية وخصوصاً في بعض الحالات المتخلفة داخل الامة، وكيف أن الحركات الإسلامية لم تستطع أن تتخلص من سلبية الامة، ولم تستطع أن تكون هادية لها بدلاً من أن تكون تابعة لها ايجابياً وسلبياً؟ وكيف أنها وقعت في فخ الدوائر

الاستعمارية التي كانت ولا تزال تحاول تعميق التنافس السلبي بين بعض الحركات وبعضها الآخر من أجل تحويله الى صراع حاد.

هذه الامور يجب أن تُدرس لنعرف لماذا تحولت الحركات في علاقاتها مع بعضها من حالة التنافس الى حالة الصراع؟

ونستطيع اليوم أن نتحدث عن العلاج لهذه الحالة، لعلمنا بأن القضية هذه لو عالجناها بحكمة واتخذنا منها طريقاً سليماً آنئذٍ نستطيع أن نوظف الكثير من طاقاتنا التي تُستخدم الآن سلبياً في اتجاه ايجابي.

ما هو العلاج لهذه الحالة، وكيف؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال، لا بد أن نبين حقيقة مهمة نؤمن بها إيماناً راسخاً.

قوة البناء تتحدى

تلك الحقيقة هي: أن بناء الكون والسنن التي أودعها الله في هذا الكون، والتقادير، والتدابير التي أحاط بها الله هذا الكون، تجعل من البناء قضية أسهل، وعملاً أنمى من الهدم.

بعكس ما يقوله الشاعر العربي الذي اظن أنه كان يتحدث في جو وبيئة متخلفتين:

أرى ألف بانٍ لا يقوم لهادم فكيف بيانٍ خلفه ألف هادم

بعكس ذلك تماماً نقول: كلا.

لأنَّ الباني الواحد يستطيع أن يواجه هدم ألف هادم.
فالبناء أقوى من الهدم في تركيبة الكون وفي فطرة الحياة،
والدليل:

أولاً: الطبيعة تشترك في البناء

إنَّ البناء هو الحق الذي ينمو، فحينما نبني شيئاً فاننا نتحرك مع مسيرة الحق، لأنَّ الكون كله يبني معنا، فحينما نزرع فإنَّ الارض تتقبل البذرة، والرياح تلقِّحها، والامطار ترويه، وأشعة الشمس تغذيها، وأملاح الارض تغنيها، فكل ذلك يعمل في مسيرة البناء.

ولذلك نرى أنَّ الحبة الواحدة تتحول الى (٧٠٠) حبة، وللقضاء على حبة واحدة تستطيع أن تحرقها بقطرة بنزين واحدة.
بمعنى اننا نحتاج الى (٧٠٠) قطرة بنزين لإبادة (٧٠٠) حبة التي نبتت من حبة واحدة.

فمسييرة الكون مع الحق، والحق مع البناء، وما كان لله ينمو.

ثانياً: الطبيعة تتحدى الموت

إنَّ الذين درسوا علم الاحياء يعرفون انه بالرغم من عدة مئات من صنوف الجراثيم التي اكتشفت حتى الآن بالنسبة للأحياء، إلا

أنَّ الحياة قاومت الجراثيم واستمرت، وقد اكتُشِفَ حتى الآن (٩٥٠) ألف نوع من الأحياء كلها موجودة، وبعضها موجود منذ عدة ملايين من السنين، وبالرغم من كثرة الآفات والجراثيم ووجود الصراع داخل الأحياء، فإن الحياة بقيت متناصلة متنامية. لماذا؟

لأنَّ الحياة تتحدى الموت، وأنَّ الانسان الواحد اذا بقي في مكانه انتاج عشرات الاولاد. وهذا يعني أنَّ الحياة تحدت الموت. لقد كان أولاد رسول الله ﷺ حينما توفي: فاطمة وابناها. ولكن حسب آخر الاحصاءات فان مجموع السادة الآن أصبحوا حوالي (٥٠) مليون انسان مع كثرة ما قُتِلَ منهم وشرَّد. فما دام الانسان هكذا، حين يموت يموت وحده بينما يبقى نسله متكاثراً. فالحياة اذاً تتحدى الموت.

انتهجوا طريق التكاثر

إذا قتلت انساناً فقد قتلت انساناً واحداً. أما اذا استعصت عن ذلك ببناء الناس وتكاثرهم، فتضم الى صفوك إنساناً، سواء عن طريق تناسله، أو انتائه اليك، فانه لا يضاف الى عددك فقط، وانما يضيف وجوده شيئاً آخر الى كيائك. فاذا كان بيننا وبين جماعة ما صراع لا تنافس فليس باستطاعتنا إلا أن نقتل منهم مقتلة عظيمة.

أما إذا كان بيننا وبينهم تنافس شريف فباستطاعتنا أن نتكاثر ضدهم. وعند اختيارنا طريق التكاثر فاننا نغلبهم، أما في حالة قتلهم فيمكن أن نغلبهم أو يغلبونا.

فمثلاً: لقد قرر الشعب الفلسطيني بأن يزيد عدده وذلك عن طريق التناسل، لذلك يحتمل في اوائل القرن الواحد والعشرين ان يصل عدد الفلسطينيين في العالم الى (١٠) ملايين انسان.

وهناك تقرير اسرائيلي يتحدث عن خطر تكاثر الفلسطينيين ويقول: لأن هؤلاء يزدادون في التناسل ونحن لا نزداد، فسوف يغلبونا على المدى البعيد شئنا أم أئينا، لأن العائلة الفلسطينية لديها (١٠) أولاد بينما العائلة الاسرائيلية لديها ولدان فقط. لذلك سيصبح عدد الفلسطينيين داخل الحدود الاسرائيلية أضعاف عدد الاسرائيليين وبالتالي سيطغون عليهم.

وكذلك هناك تقرير فرنسي نُشر أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر يقول: لا بد للجزائريين أن يغلبونا، لانهم يؤمنون بزيادة النسل، (والشيء الوحيد الذي يمكن للفرنسيين أن يتعلموه من الجزائريين بسبب صراعهم معهم هو زيادة النسل)، لذلك أمر ديغول بتشجيع النسل في فرنسا، واليوم هناك قانون فرنسي يضمن معونات حكومية للذين لديهم اطفال اضافيون سواء كانوا فرنسيين أو أجانب. وبهذا المفهوم فان الحياة تتحدى الموت، وأنَّ البناء أقوى أثراً من الهدم، لأنَّ البناء ينمو بينما الهدم يبقى عند حده.

الصراع يعني الانقراض

لو وُجِّه التنافس بين الحركات الاسلامية هذا التوجيه، فكل حركة من هذه الحركات تفكر في تقوية ذاتها عند تنافسها مع الحركات الاخرى، ومضاعفة عدد المنتمين اليها. فانه بعد عشر سنوات نرى أنَّ جميع الحركات الاسلامية متقدمة، وقوية، وبالتالي أن الهدف المشترك لكل الحركات الاسلامية قد تحقق عملياً.

بينما اذا أرادت كل حركة أن تتوسع في حدود الحركة الاخرى، أي أنَّ جماعة هذه الحركة يفتشون عمن يذهب للأخرى ويخرجوه منها، لينتمي اليهم. فماذا ستكون النتيجة؟

في مثل هذا الجو سوف نشاهد مجموعة بسيطة يتصارعون مع بعضهم فيختنقون وينقرضون.

إنَّ العالم الاسلامي، عالم واسع، وعدد اللا منتمين بالنسبة الى عدد المنتمين (١ إلى ٥٠٠ ألف). وهذا يعني انه لو توجهت الحركات الاسلامية الى حالة التنافس الحر والبناء، لرأينا بأن هناك الملايين من البشر ينتمون الى الحركات الاسلامية، وتبقى القلة لا منتمية، هذا بالنسبة الى التزايد العددي. وهناك تزايد آخر هو التزايد الكيفي. فالمجالات الاسلامية كبيرة، وواسعة، تستطيع الحركات الاسلامية ان تخرقها.

فالعالم الاسلامي بحاجة الى كُتَّاب ونحن بالنسبة الى العالم

صفر أو تحت الصفر بالنسبة الى كُتّابنا ومؤلفينا.

فأين الكتاب؟

ولماذا لا تفكر الحركات الاسلامية بأن تبني كُتّاباً ومؤلفين؟
ولماذا بقيت حتى الآن تقفات على المؤلفين والمفكرين السابقين،
الذين كتبوا لجيلهم وانتهى ذلك الجيل، وعلى كل جيل أن يتحمل
مسؤوليته:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا
تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

فنحن جيل جديد ولكن اين كُتّابنا؟

قبل عشرين عاماً برز عددٌ من الكُتّاب في مصر والعراق
ولبنان، ولكنهم أصبحوا تحت التراب، فمن خلفهم؟ لماذا عقلت
أيدي المسلمين عن الكتابة الجديدة!!

هناك آلاف القضايا المطروحة وليس هناك من يكتب عنها
شيئاً. أو ليس هذا مجال جيد للتنافس!!

وإنّ من الأفضل أن تدخل كل حركة هذا المجال، وتوجه
جانباً من طاقاتها الى التنافس البناء، لا أن توجه صراعها ضد
البعض الآخر.

فماذا نجيب ربنا غداً لو سألنا: ماذا كنتم تعملون؟ ولماذا كنتم
تتصارعون؟

١ - سورة البقرة: ١٣٤.

فهل تريد الحركات الاسلامية أن تنتصر بالشعارات؟ كلا.
فالشعارات لا تكفي للانتصار، فالدنيا مبنية على أسس متينة صنعها
الله ولا يمكن تجاوزها، ولا يفكر أحد أن باستطاعته الانتصار في
هذه الدنيا من دون أن يوفر في ذاته عوامل الانتصار جميعاً. ومن
عوامل الانتصار:

معرفة الحياة معرفة عميقة وشاملة واتخاذ القرار المناسب
بالنسبة للحياة.

فالقرار يحتاج الى دراسات، ولكن اين الذين يقومون بهذه
الدراسات؟ فلماذا لا تقوم هذه الحركات أو تلك باختراق هذا
المجال، ثم تقول للحركات الاخرى: أنا عملت هذا العمل
وانتم اعملوا العمل الفلاني، فهناك بلاد واسعة في العالم تحتاج
الى موجهين وكتّاب وألسنة لو نطقت بالحق لاستطاعت أن تقوم
بأعمال كبيرة، فلماذا نوظف هذه الألسنة في بعض الامور التافهة
الجزئية التي لا تعني شيئاً.

لماذا لا نوجهها توجيهاً سليماً لتلك البلاد وأولئك الناس الذين
يحتاجون الى مثل هذه الألسنة والاقلام.

فالحركة التي تستطيع أن تعطي الفكر الافضل والخط الاوضح
وتجرب نفسها في السيطرة على مواقع جيدة: عسكرياً واقتصادياً،
اجتماعياً، وسياسياً، وفكرياً، يجب أن تُجَدَّ من قبل كل الحركات،
حتى يعرف أبناء هذه الحركات في كل مكان بأن الصراع ليس

بتكثيف التناقضات وبتكرار السليبيات وإشاعة الفواحش، وانما بالعمل الصالح، فاذا جعلنا التنافس مقياس التقدم وهو العمل الصالح، فالكل يذهب الى العمل الصالح، وبالتالي فان الامة تتقدم. أما اذا جعلنا المقياس هو تكثيف السليبيات حول الحركات الاخرى، فهذا خطأ.

فلماذا نفكر في إبادة الآخرين حتى نبقى أحياء.

لماذا نفكر في أن نوقف الآخرين عن الحركة حتى نتقدم!

فاذا كان الآخرون متقدمين فيجب أن نتقدم أكثر منهم.

أما أن تأتي الى الطريق ونرى الآخرين يسبقوننا فنضع الحجارة في طريقهم، لكي يقع الجميع ونصل نحن، فهذه ليست طريقة سليمة، إنما الأفضل أن نسرع أكثر لكي يسرعوا هم أيضاً، فوضع العقبات في طريق الآخرين انما هو سلاح العاجزين.

وواضحٌ إنَّ هذا السلاح وهذه الطريقة لا تثمر بنجاح، لأننا اذا استطعنا إيقاف الآخرين ووضع العراقيين أمامهم، فلا يعني اننا نضمن الوصول.

لماذا؟

لأن الوصول للهدف يحتاج الى عاملين:

العامل الاول: عدم وصول الآخرين الى الهدف قبلك.

العامل الثاني: توفير شروط التحرك، وشروط تحقيق الهدف في

نفسك.

فنحن حينما نريد أن نقطع مسافة عشرين كيلو متراً ونصل المدينة قبل أن يصلها الآخرون، علينا ان نزيد من سرعة تحرركنا وعجلة سيرنا، ولا يجوز أن نحقق هذا الهدف عن طريق وضع العقبات أمام سير الآخرين. اذ قد يسبب ذلك في إعاقتنا نحن ايضاً عن المسير، وبالتالي يسبب عدم وصول أي واحد منا الى المدينة المطلوبة.

الحرية والارادة والصمود

حرية الانسان في هذه الدنيا سُنة من سنن الله في الحياة.
ولا يستطيع إنسان أن يوقف انساناً آخر عن أي طريق يريد أن يسلكه.

وكذلك حينما تريد حركة اسلامية تحقيق اهدافها. فلا الحركات الاسلامية المنافسة، ولا الطغاة، ولا العقبات الاجتماعية أو الطبيعية، تستطيع الوقوف أمام هذه المسيرة.
وإلا لبطلت سنة الله في الحياة وبطلت نعمة الاختبار ووظيفة الاختيار في الدنيا.

على جميع الحركات الاسلامية أن لا تخضع، ولا تقوم بعمل قصاصي، اذا قام بعض المندسين في سائر الحركات بزرع العراقيل أمامها، أو حوّلوا التنافس الى صراع.

وعليها متابعة المسيرة، فمن المستحيل أن يستطيع أحد ايقاف

الانسان الذي أراد وصمم على الوصول الى الهدف. فديننا مبني على فلسفة الحرية، والدنيا دار اختبار وابتلاء، ولا يتحقق الابتلاء الا بالحرية.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

فان أرادت الحركات تحقيق أهدافها ورأت أنَّ الآخرين يضعون أمامها العقبات فعليها الالتزام بالبرنامج التالي:

١- أن تتعلم الحركات النشطة كيف تتجاوز العقبات، فالعقبات ما هي إلاَّ ابتلاءات وينبغي تجاوز الابتلاء بنجاح.

ففي التدريب العسكري يضعون عقبات أمام الفرد ليتعلم كيف يتجاوزها، فيأمرونه بالمرور من تحت النار - مثلاً -، أو يضعون اسلاكاً شائكة ويأمرونه بالقفز عليها، وفائدة كل ذلك راجعة للمتدرب نفسه.

أما هذه العقبات فهي نوع من العقبات الطبيعية التي خلقها الله ليمتحن بها إرادة الانسان.

٢- مقاومة المنافس والذي يضع العراقيل، ولكن في حدود ضيقة، فربّ مظلوم يصبح أظلم من الظالم، فعلى الحركة التي تسير في درب الرسالة أن لا تخضع لمثل هؤلاء، بل تحاول إبعادهم عن طريقها باعتبارهم حجر عثرة. ولكن بدون اتخاذ مواقف سلبية أكثر من مواقفهم أو بقدر مواقفهم، بل فقط بحدود الحاجة (حاجة

١- سورة الرعد: ١١.

مسيرتكم) الى اتخاذ المواقف المناسبة.

٣- على الحركات الاسلامية تسجيل انتصارات استراتيجية في طريقها كلما ازداد عدد واضعي العراقيل لإيقاف المسيرة التصاعدية.

فكروا في أن المنافس يريد أن يوقفكم عن مواصلة السير، فكيف تستطيعون أن تتحركوا في طريقكم، وكيف تستطيعون أن تحرزوا وتكتسبوا مكاسب استراتيجية كبيرة.

فالمنافس يضع امامك عقبة لكي لا تكتب كتاباً، ولكنك اذا انتصرت عليه في هذه الحالة وكتبت كتاباً، فانك بعد سنتين ستكتب دراسة عميقة وشاملة وافضل بعشر مرات من ذلك الكتاب.

والمنافس يحاول أن يسحب من جماعتك مجموعة من العناصر الجيدة، فماذا تفعل في هذه الحالة؟

عليك أن تأتي بمائة ومائتين من العناصر الجديدة، وبالتالي تكون قد أعطيته درساً بأنه ليس من الفخر أن تهدم، بل عليك أن تبني ما استطعت الى ذلك سبيلاً. فإن الهدم ليس فناً ولا فخراً.

كلما رأيتم انسحاباً تكتيكياً في ساحة العمل بسبب صراكم مع الجاهلية أو منافستكم مع الحركات الاسلامية التي ابتليت بأزمة الخلق، فابحثوا عن طريقة لتكتسبوا الساحة استراتيجياً، ولتعلموا سائر الحركات بأن العمل ممكن وأن المكاسب ممكنة الحصول، وأن المجالات كبيرة ومفتوحة ولا داعي للصراع.

فهذا البرنامج ذو النقاط الثلاث لو طُبّق من قبل الحركات الإسلامية في المنعطفات الحاسمة من حياتها، لاستطاعت أن تقرب النصر، وإن الله سبحانه يرزق الناس على نياتهم وطيب نفوسهم وقلوبهم مع بعضهم، فدعونا نظهر قلوبنا، ونصفي نياتنا، ونخطط خططنا لله، وأن نكون قائمين له، دعونا نضع الله أمام أعيننا في كل استراتيجية، بل في كل تكتيك، بل في كل خطوة، حتى ينصرنا على عدونا.

نحن لا نريد أن نتصر بأنفسنا وبعواملنا الذاتية المادية، لأننا ضعفاء، ولأن هذه العوامل غير كافية للنصر. إننا نريد أن نتصر بالله، ولا ينصرنا الله إلا إذا رأى أن قلوبنا صافية.

إذاً على الحركات الإسلامية أن تحول الصراع الموجود بين بعضها البعض إلى تنافس بناء، وذلك بأن تحاول كل حركة اختراق مجال بكر لم يخترقه الآخرون، وأن لا تتصارع مع بعضها في سبيل مجالات ضيقة محدودة، فعالم الله واسع وارضه واسعة.

تباين الآراء في خدمة النهضة

لعل من المفيد الحديث عن تناقض الآراء فيما يخص أساليب العمل والجهاد، أو تحليل المواقف السياسية بين العاملين على الساحة الإسلامية، وكيفية الاستفادة من إيجابياتها على صعيد الممارسة، واغناء الخلفية الذهنية لرواد الجهاد.

فمن البداهة القول إنَّ تعيين وتحديد موقف الانسان من الخلافات والآراء المتباينة في الساحة يمكن أن يطبع على تفكيره وسلوكه مسارين: أحدهما في صالحه يمكن الاستفادة منه ذاتياً، والآخر أن تصبح الاقوال والآراء المتناقضة سبباً لإفساده وهزيمته في ساحة المواجهة، وبالتالي انهياره وتحطّمه معنوياً ومادياً.

فالفرق هو اتخاذ القرار الصائب من الخلاف، فان كان موقفاً سلبياً قطعياً، فانه سيؤول الى الانهيار والهزيمة، والعكس صحيح. إنَّ الخلاف والاختلاف، وعدم تطابق وجهات النظر، قضية طبيعية في الحياة، وشواهد ذلك كثيرة، منها: العائلة الواحدة، فالزوجة

والزوج اللذين تألفا سوياً أكثر من (٥٠) عاماً مثلاً، وتعرّف أحدهما على نفسية وسلوك الآخر، شاركاً معاً الاتراح والافراح، مع ذلك تجدهما يختلفان في أبسط الامور وأتفهها، وكذا أيضاً يحصل لدى التوأم اللذين ترعرعا سوياً، وتربيا ودرسا معاً، فحينما يواجهان مسائل الحياة تراهما يعطيان اقتراحات وأراء مختلفة. اذاً لا يمكن إنكار هذه القضية.

فليس المهم إزالة الخلاف، خاصة اذا كان لا يؤثر أساساً في مستوى التفكير العقائدي والهدف الرئيس، وإنما المهم هو بيان الموقف منه، واستشاره في مواجهة الخصم، ومن الامور الاساسية التي يمكن للفرد أن يستفيد منها هذه الحالة الطبيعية، هو أن تكون مفتاحاً لآفاق تفكيره وتكوين وجهة نظره، فلو وُجد في أحد البلدان حزب واحد يمسك بزمام الامور، ويفرض وجهة نظره في كافة الوقائع والاحداث، ويُخضع الناس لاسلوب تفكيره، تكون نسبة الخطأ في مواقفه وفي تفكيره عالية جداً، لأنّ طريق الديكتاتورية مألها النظرة الى الحياة من جانب واحد فقط، بينما الحياة لها جوانب مختلفة، فهي ليست بلون واحد، انها تشبه ذلك العمود الذي صُيغ كل طرف منه بلون ما، فاذا وقف الرائي الى جانب منه، ورآه بلون معين لا يقدر أن يزعم بأن جميع جوانبه لها نفس اللون، عليه أن يدور حوله حتى يرى مختلف الوانه، أو أن يستمع الى من يراها دونه.

وكذلك الحياة هي غابة مترامية الاطراف، متنوعة الاشجار،

وتفقدّها من طرف واحد ولجانّب واحد، سيفقد اكتشاف مجاهيلها، ولكن لو اجتمع عدة افراد على تفحص مختلف جوانبها، لتكاملت عندهم المعرفة التامة بها، وتفادوا نقاط الاختلاف.

نعم، إنّ التباين في الآراء موجود في كل مكان، وهو لا يختص ببلد دون آخر، أو حركة دون أخرى. ففي الحركة الاسلامية في العراق توجد آراء مختلفة، كل رأي منها يشكل نسبة معينة من الصواب في طرحه العملي. فرأي يقول بضرورة العمل الثقافي المركّز لتخريج مثقفين واعين لأطر العمل الجهادي، وآخر يرى ضرورة حمل السلاح والمجابهة الفعلية ضد الأعداء، وثالث يؤكد على العمل السياسي البحت، فهذه الاراء لا تعبر عن تناقض في مواقف العاملين في الساحة العراقية، أو تناقض في الواقع الخارجي الذي يعيشه الشعب المسلم، انما تعبر عن أبعاد مختلفة للحركة الاسلامية، وهي بحاجة الى بُعد ثقافي، إذ توجد نسبة عالية من أبناء الشعب بحاجة ماسة الى التوعية والتثقيف. وهناك قطاعات تجاوزت هذا المستوى، فهي بحاجة الى العمل في ساحة المواجهة والمقاومة، وهكذا توجد قطاعات شعبية اخرى تستطيع النهوض بالعمل السياسي عوضاً عن ذلك، لتوفّر بعض المؤهلات لديها مع مساعدة الظروف لها.

إذاً الموقف اللازم اتخاذه في هذه الصورة، هو تعبئة كافة جوانب العمل المتاحة، لأن لكل جانب أثراً فعالاً له بُعد معين من أبعاد العمل الجهادي.

فلتعمل الجماهير المؤمنة دون أي تدخل يحد من إمكانياتها، واختلاف وجهات نظرها إنما هو رحمة، لأنَّ كل فئة ستقوم بدور معين، كما نشاهد ذلك في الحياة الاجتماعية، حيث هناك من يعمل في الافران والمخابز، والبعض في المسالخ وتهيئة اللحوم، وآخرون في الزراعة والانتاج، وهكذا على كل صعيد. هذا التنوع في تلبية حاجات الناس، يعطي زخماً لاستقرار المجتمع وتكامله، فالله سبحانه وتعالى خلق الناس مختلفين ورزقهم على قدر لتيسير شؤون الحياة، كذلك النهضة ليست بشكل واحد، فهي تحتاج الى من يحمل السلاح للدفاع عن كيان الأمة، والى من يكتب منشوراً أو يطبع ملصقاً جدارياً والى من يخطب في الناس ويوجههم، وفي النهاية تتطلب نفوساً أبيّة، وسواعد قوية، وقلوباً اطمأنت الى نصر الله.

فاللازم الاستفادة من جميع الآراء المختلفة، وتقييمها، وتحويلها الى سلاح فعال في ساحة العمل، حتى لا تذهب الجهود سدى، وكي تتعاضد الممارسات الجهادية ضد الطغاة. وواضح أنَّ الخالق العظيم قد اودع في كل رأس فكراً معيناً، بعدما أراه السبيل القويم ودلّه عليه. فكل انسان يدب على الارض لديه فكرة قد لا يحملها الآخرون، وهذه سُنَّةٌ طبيعية، فعلى الامة أن تكون قادرة على استيعاب كل الآراء والافكار والنظريات وتعبئتها لصالح النهضة، أما إذا كان الموقف منها - ومن الخلاف بشكل عام - موقفاً حدّياً وديكتاتورياً، فانها ستموت في مهدها بلا شك، يجب اتاحة الفرصة للجميع في بيان ما لديهم تجاه قضية معينة، ف :

«الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُمَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ضَالَّتَهُ فَلْيَأْخُذْهَا»^(١).

وفي ذلك يؤخذ الرأي الصحيح ويترك ما كان فاسداً، قال الله عز وعلا:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

فهدايته سبحانه وتعالى تأتي باستماع القول كله، ثم الاخذ بأحسنه، أما من تخلف عن هذا المفهوم فستكون عاقبته الضلال والهلاك.

وهناك نقطة مهمة اخرى تدعم هذه البصيرة الرسالية وتكون رافداً لها وهي وجود قيادة اسلامية حكيمة تُتَّبَعُ باذن الله جل وعلا، وهذا أمر مهم لا غنى لايّة أمة أو حركة منها، والقيادة التي نعينها هي ما أشار اليها أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ»^(٣).

فالمعانة لا تزول بالاحاديث الشعاراتية البراقة التي تدور في مجالس الترف هنا وهناك، انما تتطلب علاجاً حقيقياً ومسؤولاً.

الجماهير المؤمنة هي التي تحل مشكلة تنازع القيادات، فالاصيلة

١ - الكافي، ج ٨، ص ١٦٧، عن الامام الصادق عليه السلام.

٢ - سورة الزمر: ١٨.

٣ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، خطبة ١٧٣، ص ٢٤٨.

منها هي التي تعبئ كوادرها، وتجمع شتات افكارها، وتخطط لمسيرتها، وتمنحها الامل في الفوز، والاخرى مخاتلة مدهنة، تكون أشهر اعلاناً، وأطول لافته، وأقدر على دغدغة الرغبات الدنيوية، فاذا انصاعت الجماهير للاولى، كانت على قاب قوسين أو أدنى من النصر، وإن اتبعت الثانية، كان مآلها الى السقوط والفشل، لأن الأمة لا تستطيع تحقيق النصر باتباع الشهوات والاماني، انما بالعقل والعلم والجهد الخالص.

القيادة يجب أن تكون مطاعة، ولكن ليس لأنها تملك إعلاماً عريضاً، أو لأنها قادرة على إعطاء الأموال وتحقيق المطامع، فهذه ليست بقيادة أصيلة وحاسمة وفاعلة. القيادة الصحيحة هي التي تسترشد بأحكام الرسالة وتعاليمها، كي تكون حجة على الأتباع، وينبغي الامثال لها في كل شيء يُرضي الخالق العظيم. عندها سيتحقق التفاعل، وتغلب الايجابية على العمل الرسالي.

أما إذا تحقق العكس فستكون القرارات المتخذة تحمل بذور فشلها معها، وسيقتصر إهتمام القيادة منصباً على بعض الاعمال الاجتماعية والخدمية. إذن القيادة الناجحة التي تُطاع باذن الله تعالى ستكون هي التي تخطط وتعمل استراتيجياً وحل المشاكل جذرياً، وهذا ما نلمسه في آيات القرآن الكريم ووقائع التاريخ.

جاء في القرآن الكريم أن طالوت حينما وصل بجنوده من بني اسرائيل الى النهر، امتحنهم بعدم الشرب من الماء، لكن شربوا الا قليلاً، وهذا يعني إن الذين انصاعوا للاهواء النفسية جرياً وراء

مكاسب آتية خسروا، إذ انفصل طالوت عنهم مع مجموعة صغيرة استطاعت أن تهزم العدو جالوت باذن الله.

وكذلك بالنسبة للامام الحسين عليه السلام اذ سار بعدد كبير من الاتباع لمواجهة جيش يزيد بن معاوية لعهما الله. لكن في نهاية المطاف، شهدت واقعة كربلاء وجود (٧٢) رجلاً بعد أن كانوا ألفوا، ولم يتناقل هذا العدد القليل من أداء المهام المطلوبة، بل كانوا بصدق مثال ما يعنيه الامام علي عليه السلام:

«وإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ»^(١)، فصاروا شهداء ومشاعل للآخرين.

إنَّ العدد الكبير اللاهث وراء المغنم، والفاقد لمعايير الاسلام الحقّة، لا يمكن أن يؤدي الدور المطلوب، خاصة اذا استجاب للنفس الأمّارة بالسوء وخدعته الدنيا وزخارفها، كما فعل أصحاب المكاسب وعبّد الدنيا بالامام الحسن بن علي عليه السلام، في حربه العادلة مع معاوية بن أبي سفيان.

ونضرب مثلاً معاصراً لما نذهب اليه من راحة مستوى التفكير القيادي مع تفاعل الجماهير معها في كسب الاهداف المرجوة، ففي إيران عشية انتصار الثورة الاسلامية، وصل الى مسامع الامام الخميني أنَّ الحكومة العسكرية في طهران أصدرت أمراً بمنع التجول في شوارع العاصمة طهران، فوجه الإمام كلمة

١ - نهج البلاغة [صبحي الصالح]، كتاب ٢١، ص ٣٧٧.

الى الشعب أمرهم فيه بالخروج الى الشوارع، وعدم الالتزام بالقرار الصادر من الحكومة، فامتثل الشعب لأمره وخرج أربعة ملايين نسمة في تلك الليلة، وافتروشوا شوارع العاصمة في جو قارص البرد، مما أنهى حكماً إستمرّ أكثر من ٥٧ عاماً، فلو كانت القيادة متشكّكة وأبناء العاصمة يعملون حسب اجتهداتهم هل كان يتحقق هذا النصر؟ كلا. وهذه من البدييات، لقد انصاعوا للقائد، وسلموا أمورهم إليه، لأنّ فيه تتجسد مؤهلات القيادة.

من كل ما تقدم نختتم هذا الفصل بالقول: إنّ وجود البصيرة الواعية بالظروف والطاقات والفرص المتاحة كفيل بتعجيل النصر، وهذا لا يتحقق الا بامرین:

١- اتخاذ موقف سليم وهادئ من الخلافات القائمة لدى أطراف الساحة.

٢- وجود قيادة أمينة مخلصه تستوجب احترام الامة لها والانصياع لأوامرها في سبيل إعلاء كلمة الله في الارض.



الفصل الخامس:

الحركة الاسلامية والتحدي المضاد

- ١- الحركة الاسلامية الواحدة والمؤامرات المضادة
- ٢- النهضة الاسلامية والتحدي الجاهلي
- ٣- الحركة الاسلامية أمام التحديات الحضارية

الحركة الاسلامية الواحدة والمؤامرات المضادة

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١﴾.

ما عانته أمتنا الاسلامية في العصور الاخيرة من الدسائس الاستعمارية والمكائد والمؤامرات، كانت أكثر بكثير مما عانته أمتنا من وسائل البطش الظاهرة كالجيوش، والأسلحة المدمّرة.

ذلك لأنّ تلك الوسائل كانت خفية، لذلك استغلت جهلنا وتخلّفنا وتشتتنا، بالاضافة الى العوامل الذاتية التي ساعدت المستعمرين في توجيه الضربة الينا. بينما الوسائل الاخرى (الظاهرة) كانت معروفة لدينا وكنا نواجهها بوعي، وفي بعض الاوقات بإصرار، بينما المؤامرات التي استخدمتها أجهزة الاستعمار الشيطانية كانت تجري عادة في غفلة منا.

إنَّ الافكار المتلصّصة التي تسربت الى عقول شبابنا في بداية هذا القرن، عبر المناهج التربوية الاجنبية، وعبر الذين كانوا يُسمَّون بالمفكرين والمصلحين، وعبر الصحفيين والقصاصين وكتّاب المسارح وعبر الافلام، كل ذلك كان مدخلاً من مداخل الكيد الشيطاني للدوائر الاستعمارية، وكانت أفتك بنا من أسلحتهم الفتّاكة، ولا تزال آثارها باقية في كثير من عقول أبنائنا. ففي العديد من بلاد المسلمين، تجسّدت في تركيبات غير متفاعلة بين الاسلام وبين الافكار المادية الغربية حيناً، والافكار المادية الشرقية حيناً آخر.

الاستعمار ووسائله الفتاكة

وسائل الاستعمار كثيرة ومتعددة، واليك أمثلة على ذلك:

الوسيلة الأولى

وهو ما نراه في بعض البلاد الإسلامية حيث يخرج للامة رجل باسم التجديد، يريد أن يعيد ذكرى البهائية والقاديانية، ويحاول أن يوهم الناس بأنه صاحب الرسالة الثانية، ويدعو الى مساواة المرأة والرجل في الأحكام، كما يدعو الى إلغاء كثير من الاحكام الشرعية، ويدعو الى التجديد في الفكر الاسلامي. تلك النعمة الناشزة القديمة التي بدأت الدوائر الاستعمارية النفخ فيها، ذلك

لأنّ هذه الدوائر إسترجعت خططها القديمة لتستخدمها اليوم في ضرب الاسلام بعد أن فرض البعث الاسلامي الأصيل نفسه على الساحة. ولقد رفع هذا الانسان راية هذه المحاولة البائسة في أحد البلاد الافريقية، وشكل حزباً باسم الحزب الجمهوري المدعوم من قبل السلطات في ذلك البلد.. تلك السلطات التي تتبنّى الخطط الاستعمارية، وتتناغم مع المبادرات الاستسلامية تجاه الكيان الصهيوني.

الوسيلة الثانية

هي تسليط الانظمة الطاغوتية، الارهابية، الديكتاتورية، على المسلمين، ومحاولة محو وسحق الحضارة الاسلامية عن طريق هذه الانظمة.

فقد عادت الدوائر الاستعمارية الى طريقة كانت قد استخدمتها ونجحت نجاحاً باهراً، ألا وهي: بث الخلافات داخل الحركة الاسلامية العالمية الواحدة. وقبل أن نبين أبعاد هذه المؤامرة الشرسة لا بأس ان نذكركم بطريقة الاستعمار ودوائره المختلفة في تنفيذ هذه المؤامرة.

والمؤامرة تسمى بكلمة رمزية في الدوائر الاستعمارية، وهذه الكلمة هي كلمة (المبادرة السياسية). وهذه الكلمة يعرفها بريجنسكي مستشار الامن القومي للرئيس الاميريكي الاسبغ

(جيمي كارتر) ومدير اللجنة التي تسمى باللجنة الثلاثية، التي تضم من بين أفرادها كيسنجر، كما تضم كبار المفسدين في الارض. ويفصل بريجسنكي القول في كتابه الذي خرجت الطبعة العربية منه للاسواق في المبادرة السياسية.

يقول: إنَّ في عالمنا اليوم مجموعة تناقضات وعوامل مضادة لبعضها، وظروف معاكسة - فمثلاً - : في بلد مثل ايران، حيث عاش شعبه الحرمان وعاشت الاقليات الدينية والمذهبية والعرقية فيها وضعاً شاذاً في السابق، ثم بعد سنة من الاضطراب، والفوضى، واذا بالثورة الاسلامية تنتصر في ايران، ثم وقبل أن ترتب الثورة أوراقتها، واذا بالفتن تشتعل ويقوم عناصر العصر البائد بترتيب أوراقتها والهجوم المضاد، وقبل أن تنتهي الثورة من معالجة هذه العناصر، تُشنُّ ضدها حربٌ عدوانية من قبل الطاغية صدام حسين.

ففي هذه الظروف حيث تعيش تلك الاقليات وضعاً خاصاً لأنَّ عوامل الحرمان السابقة تتفاعل في ذواتهم، ورواسب العهد البائد تتصل بهذه العوامل، وعصور التخلف، وقلة الوعي تتفاعل مع تلك العوامل وتلك الرواسب، والنتيجة تشكل وضعاً استثنائياً، وضمن هذا الوضع الاستثنائي تبدأ المبادرة السياسية، حيث يتم بعد دراسة كل ما قلناه تفجير الوضع في ناحية من النواحي، اذ يُقتل رجل دين مسلم ومجاهد يعتنق المذهب السني في بلوشستان وعلى أثره يُقتل (٣٠) من خيرة شباب بلوشستان،

ومن ناحية أخرى، تقوم الدوائر الاستعمارية بالتضليل الاعلامي وتشيع في المنطقة وعبر الاذاعات والشبكات المضادة بأن إيران انها هي جمهورية شيعية. مثل هذه العملية تسمى (المبادرة) أي بمعنى الاستفادة من الوضع الشاذ.

والضحية هم الشعوب

واذا أردنا ان نعرف حقيقة هذا المعنى فلنر ما يدور في لبنان (في سبعينات القرن العشرين).

ففي لبنان توجد أقلية تتحكّم في الأكثرية الإسلامية بالاضافة الى تواجد مجموعة من المشردين والثوار الفلسطينيين، الذين نزحوا بعد أيلول الاسود الى لبنان.

وتتطور الاحداث، ويتفاعل الوضع، ويحيط ببيروت حزام من الفقر والحرمان. فالوضع في توتر. والاحزاب المختلفة متواجدة هناك، والاضاع شاذة، والثوار الفلسطينيون يقومون بمحاربة (إسرائيل) إنطلاقاً من جنوب لبنان، و(إسرائيل) تكثف هجماتها على جنوب لبنان، والوضع المأساوي في مدينة بيروت لا يطاق، وحزام الفقر يكاد يخنق بيروت.

في مثل هذا الوضع الشاذ تخرج سيارة تحمل مجموعة من الفلسطينيين لتعبر منطقة الشياح الى منطقة عين الرمانة، ويهجم مجموعة من المسلحين، ويقتلون من في السيارة ويذبحونهم ذبحاً،

وهكذا تتفجر الحرب الأهلية في لبنان لتحرق الأخضر واليابس .
 هذه هي (المبادرة السياسية) التي تتم بعد دراسة الاوضاع
 الشاذة، والعوامل المضادة في منطقة من المناطق، حيث تُدرس
 أسباب التخلف والظروف الاستثنائية عبر العقول الالكترونية،
 وبناءً عليه يفجرون ناحية من النواحي ليكون مقدمة لتفجير
 الاوضاع كلها. فسياسة القوى الاستكبارية وحلفائها في كل بلاد
 المستضعفين وبالذات في العالم الاسلامي تقوم على الاستفادة من
 هذا النوع من (المبادرة السياسية) وهذا (إسم جميل لعمل قبيح).

إضربوا الاستعمار بالوحدة

فهذه هي سياسة الاستعمار الآن بالنسبة الى الحركة الاسلامية
 الواحدة، فاذا صُبِغَتْ حركةٌ ما بالاسلام فلن تستطيع أن تنفصل
 وتتحرك لوحدها، فما دامت الحركة إسلامية فهي تنشُد قيام الدولة
 الاسلامية، وتحقيق الامة الاسلامية. والامة الاسلامية أمة واحدة.
 يقول الله تعالى:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(١).

هي أمة واحدة، فما دامت كذلك فالحركة التي تنشُد إقامتها
 وإقامة حكم الله عليها، لا بد أن تكون حركة واحدة عبر العالم
 الاسلامي كله، ولكن الاستعمار الذي يعرف مدى قوة هذه الحركة

١ - سورة المؤمنون: ٥٢.

وفاعليتها، يبدأ ببث الخلافات داخل هذه الحركة الإسلامية الواحدة.

وبريجنسكي يعترف، ويقول (عن الثورة الإسلامية في إيران) إنها ليست فقط في إيران، إنه بعث إسلامي أصيل في العالم كله. فهم يعرفون أن هذا البعث الإسلامي الاصيل له قوته وقدرته الهائلة وامكانياته الكبيرة جداً، وبالتالي فإن هذا البعث يستطيع أن يفجر العالم في وجه المستكبرين والمستغلين الذين يخططون لعمل مضاد وهو السعي الدائب لتفتيت هذه الامة الواحدة والحركة الإسلامية الواحدة وبالتالي السيطرة على هذا البعث الاصيل.

وتبدأ المؤامرات وتبدأ الخطط. راجعوا الملفات السابقة، فكل الخلافات التي كانت قائمة قبل عدة عقود من الزمن حينما انطلق البعث الإسلامي الاول بعد الحرب العالمية الاولى، كل تلك الملفات أُعيدت، والذي يدرس التاريخ يعرف أن التاريخ يعيد نفسه، إذ بدأت المؤامرة في بداية انتصار الثورة الإسلامية بالضرب على وتر الطائفية، فايران شيعية وسائر البلاد مسلمون.

لقد عادوا الى النغم الطائفي السابق، واختير الطاغية صدام لكي يركز على هذه النعمة، ويدّعي بأن الثورة الإسلامية في إيران شيعية، ولقد كرر هذه الكلمة أسياده من قبله.

أما في المناطق الاخرى فيتسلّل رجال مشبهون أو حاقدون الى بعض الحركات الإسلامية الاصيلية، ويعملون - بالتنسيق مع

الأنظمة - لإثارة الخلافات وبث الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة.
 فلماذا لا نترك الأنظمة ونعمل معاً في سبيل إقامة حكم إسلامي
 واحد في كل مكان ونعلن الحرب ضد كل الطغاة وأذئابهم.
 إننا نلفت نظركم لهذه المؤامرة، لأنها شرسة وكبيرة وقوية،
 وهي ذات أبعاد وتكاد أن تحقق الثورة الإسلامية العالمية، فقد
 ذهبوا إلى الأقليات المذهبية والأقليات الدينية ونفخوا في الأفكار
 الجاهلية السابقة، وشجعوا كل إنسان متعصب وكل إنسان حاقد
 على أن يدير الخلافات هنا وهناك.
 ولكن علينا أن نكون يقظين ولا نقع في الخطة التي رسمها
 الاستعمار لتمير المؤامرات الباطلة.

لا يصل الاستعمار إلا بالتضليل والتحريف

وعلينا أن ندرس التاريخ ونتعظ به، فمثلاً: إن عملية ظهور
 الخوارج في الدولة الإسلامية، والتي قام بها معاوية بتخطيط من
 عبده سرجون الذي كان رومياً، وبدهاء ومعرفة من عمرو بن
 العاص.

كان الخوارج يقتلون المرأة المسلمة، فيقرون بطنها ويخرجون
 حملها، ويجهزون عليها. ثم بعد ذلك يمرّ أحدهم في الطريق وإذا بتمرة
 مرمية في الشارع فيأخذها ويضعها في فمه، ولكن الآخر يخرجها من
 فمه ويقول: حرام، أما تعلم!! فقتل المرأة المسلمة وجنينها والتمثيل

بهما ليس حراماً، أما أكل ثمرة مجهولة المالك من الشارع فهذا حرام؟! لقد فتش معاوية عن مثل هذه العناصر، وبعثها في الجيش الاسلامي الرسالي، جيش علي عليه السلام، فشئت الجيش وظهر الخوارج جماعة جاهلة متطرفة عملت على إلهاء الحركة الرسالية في ردح كبير من الزمن.

والآن يقوم المستكبرون بنفس الخطط، وبالذات في قضية العراق، لأنَّ قضية العراق هي قضية أساسية. ولقد سألتُ أحد المفكرين: لماذا هذا التشرذم في الساحة العراقية بيننا الشعب العراقي أوعى شعب عربي حتى قيل في يوم من الايام: إنَّ الكتاب يُكتب في مصر، ويُطبع في بيروت، ويُقرأ في العراق؟

إذن، فالمفروض أن يكون الشعب العراقي هو الشعب المتفهم الواعي، الأقدم ثورة والاكثر شجاعة وبطولة؟

قال: لأنَّ الاستعمار ومنذ القديم كان يعرف أهمية ودور هذا الشعب، وأهمية مركزه وحيويته، وذلك لانه يطل على منطقتين مهمتين، هما الجبهة الشرقية لمواجهة (إسرائيل)، ومن جهة اخرى يطل على مياه الخليج الاستراتيجية، لذلك ركزوا اهتمامهم على العراق.

اجتماع القوى يصنع النصر

واليوم نرى أن أجهزة المخابرات الأجنبية تعمل لتصنع

حركات جديدة تابعة لخططهم في العراق، فالحركات العراقية المجاهدة منذ زمن أصبحت اليوم غرضاً لسهام الاتهامات الظالمة لإسقاطها من دائرة التأثير على تطورات الأمور.

وللاستفادة من التاريخ نقول: انه حينما تصاعدت الحركة الاسلامية قبيل الانقلاب العسكري الذي قامت به الدوائر الاستعمارية على يد البعثيين في العراق عام ١٩٦٨م كانت الحركة الاسلامية متصاعدة في العراق بشكل كبير، وقد كانت الشبيبة متجهة للاسلام، وفي هذا الوقت وبصورة فجائية رأينا اشتعال الخلافات على جبهتين:

الجبهة الأولى بين القوى الدينية والمعاهد العلمية هنا وهناك في العراق، وتبادل التهم، وكان واضحاً أنّ الدوائر الاستعمارية هي التي كانت تغذي هذه الخلافات من أجل إضعاف القوى العاملة.

والجبهة الثانية: إثارة الخلافات بين السنة والشيعة، لإلهاء الساحة بانتظار صنع البديل، فالنظام العراقي آنئذ كان نظام عبد الرحمن عارف، وكان على وشك السقوط، ولقد كانت الدوائر الاستعمارية تفتش عن البديل، وخلال تلك الفترة كانت تحطم الحركة الاسلامية في العراق التي كانت مرشحة شعبياً كبديل، وفعلاً نجحت تلك الدوائر وصنعت البديل وهو نظام الطاغية صدام.

والآن إن لم نعتبر من التاريخ، وإن لم ندع خلافاتنا الجانبية

ونوحد صفوفنا ونكشف تلك الخطوط الاستعمارية واولئك الجهلاء المتعصبين او الحاقدين الممتلئين عقداً نفسية، فإن لم نكشف هؤلاء ونتحرك بسرعة فاننا سنرى البدائل الاستعمارية تسيطر على الاوضاع، وخلال فترة قصيرة سنرى في العراق مرة أخرى جو الإرهاب والديكتاتورية، وضرب المتدينين وازهاق أرواحهم، يعود الى العراق، وهذا بحاجة الى وعي شامل للاوضاع والله تعالى منحنا السمع لنستمع:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

فالله لا يغفر لأحد من أبناء شعبنا في العراق وفي هذه المرحلة بالذات ذنبه إن لم يتحمل مسؤوليته. فلا يستمع أي شخص لكلام أي إنسان ضد هذا أو ذلك، لأنه قد يكون أداة للاستعمار من دون أن يشعر، فلا تتكلموا عن أحد من العاملين المخلصين بسوء، بل أبحثوا عن الحقيقة لا سيما القاعدة الإسلامية العريضة، فالقاعدة تضحي لا من أجل أحد بل من أجل الاسلام، ونحن نرى أن جماهيرنا يجب أن تكون شاهدة على الوحدة.

فالوحدة هي: وحدة الجماهير، والجماهير يجب أن تكون شاهدة عليها ومحافظة لها، وأي إنسان في أي ثوب، وبأي صفة، يحاول أن

١ - سورة يونس: ٤٢-٤٤.

يفتت الوحدة يجب منعه من ذلك.

وعلىنا جميعاً أن ندافع عن الرسالة والعمل الرسالي، فكبار الناس وعظماءهم والأنبياء والأئمة عليهم السلام ضحوا بأنفسهم في سبيل العقيدة والدين، ونحن بدورنا يجب أن نضحى بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله.

على الجميع ترك الانانيات والحدود الضيقة، والإنطلاق في رحاب هذه الأمة الواسعة، والعمل لله، وفي سبيل الله.

نعود ونؤكد على أن المؤامرة واسعة وشرسة، وهي تتركز في العراق، ولكنها لا تنتهي في العراق، لأنَّ هناك مؤامرة في كل بُعد وعلى كل ساحة. وعلىنا أن نفكر في إفشال هذه المؤامرة عن طريق المزيد من الوعي، والمزيد من التجرد عن الانانيات، والمزيد من التلاحم الرسالي داخل جماهيرنا المؤمنة.

النهضة الاسلامية والتحدي الجاهلي

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾^(١).

إنها حقيقة تشهد عليها حوادث التاريخ بأنَّ الانسان صاحب الحق منصور على القوى الباطلة أيًّا كانت. ولكن هناك حقيقة أخرى تنبثق من الاولى ولا تقل عنها في الصدق والاهمية، وهي أنَّ ربنا سبحانه وتعالى أمهل الباطل مهلة ليتلي أهله، ريثما ينهض أصحاب الحق بحقهم، وعندها تنتهي فرصة الباطل وتنقضي جولته وتبدأ دولة الحق من جديد. وتعبير علمي: إنَّ نهاية الباطل

١ - سورة فاطر: ٨ - ١٠.

هي الدمار والهلاك، وقد تكون هذه النهاية بسبب انقضاء فترة الباطل بشكل طبيعي، ولكن قد يكون السبب هو نهضة الحق وبشكل إرادي وحضاري، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

فالباطل بطبيعته زهوق، وهو س ينتهي يوماً ما، حيث له أجل معين، ولكن إذا جاء الحق وقاوم الباطل فإن الباطل سيزهق بسرعة أكثر: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

فالقسم الاول من الآية يؤكد على الاجل الذي وضعه الله سبحانه وتعالى للباطل، ولكنه علّق ذلك بارادة أصحاب الحق:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾. أما القسم الثاني من الآية: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ فانه يدل على ان للباطل أجلاً محتوماً مقدراً من قبله تعالى، ينتهي عنده الباطل حتى ولو لم يقاومه الحق، حيث يحمل الباري عز وجل أصحاب الحق مسؤولية القضاء على الباطل.

ولكن يا ترى متى يستطيع أصحاب الحق أن ينهوا أجل الباطل؟

في الجواب على ذلك نقول: يمكن ذلك فقط عندما يكون أصحاب الحق صادقين في نيتهم وعملهم من دون شائبة، فإذا ما كانوا بدورهم يتمسكون بخليط من الحق والباطل، فسيذهب حقهم بباطلهم، ولن يكونوا عندها أصحاب حق.

١- سورة الاسراء: ٨١.

ولنتساءل: ما هي برامج الحق؟ وكيف يمكن لأصحاب الحق تجسيد البرامج في أنفسهم؟

دور المؤامرات العالمية في مواجهة النهضة الاسلامية

قبل أن نتطرق الى جواب السؤال أعلاه، أودّ أن أذكر نقطة مهمة ألا وهي: إن الباطل اليوم قد جند جنوده، وجمع كيده مستعداً للانقضاض على الحق وبصورة كاسحة. إن الحق في عصرنا هذا يتجسد في العالم الاسلامي والنهضة الاسلامية التي أصبحت تشمل كافة الدول الاسلامية، وهي اليوم تتعرض لتحدي واسع من قبل الباطل.

فمن ظواهر هذا التحدي، تكثيف الاستكبار لمؤامراته في المنطقة، مستهدفاً القوى الإسلامية المخلصة والصادقة.

لقد فُتس المتآمرون في بطون الكتب ليحصلوا على أقوال أو أفكار أو ممارسات خاطئة حاولوا من ورائها دعم مخططاتهم في التفرقة والخلافات. فاذا بأولئك الذين كانوا بالامس القريب يحملون راية (الوحدة الاسلامية) بين الحكومات، تراهم اليوم يطرحون فكرة الخلافات الطائفية، ولم يكتفوا بمحاربة الامامية والتفرقة بين أهل السنة وأهل التشيع، وإنما اثاروا خلافات أعمق لها الاثر الكبير على الامد البعيد.

فالعالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه يشهد اليوم تلك الاقلام المأجورة التي تكتب الكلمات المثيرة للصراع والنزاع بين طوائف و فرق الأمة الإسلامية. فعلى المسلمين أن يعتصموا بما يوحدهم وهو القرآن والسنة والكعبة ولا يعيروا لمن يثير الخلافات والفتن أهمية.

لنتنبه الى أهمية الاسلام وعظمته، ودور القرآن، وكيف أن الكفرة يريدون قلب الحقائق ليجردونا من عوامل القوة والوحدة. إن مؤامرات الكفرة ضد المسلمين عامة لا تنقطع، وقد أصبحت اليوم بشكل بث الافكار المنحرفة والضالة والممزقة بين الجماعات، وبالتالي بين الحركات الاسلامية، وبث السموم ضد كل من يحمل راية اسلامية. أما أصحاب الحق فانهم سوف يتحدّون كل ذلك الكيد والمكر باذن الله وبالتوكل عليه وبواسطة اسلحتهم الخاصة الذي هو عبارة عن البرنامج الذي لو طبقناه لحصلنا على نتائج هائلة في مختلف المجالات، وبالتالي فان الباطل يزهد ويكفر كما قال الله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

ما هو برنامج الحق؟

يشمل البرنامج هذا موارد ندرجها هنا على شكل نقاط:

النقطة الاولى: علينا أن نوضح المفاسد والخيانات التي قامت بها زمرة فاسدة في الارض، ونعهد الى أنفسنا بأن نصلح، وهذا يعني لزوم الثقة بالنفس والشجاعة في طرح المشاريع الرسالية

البديلة، كما يعني أيضاً أمراً هاماً آخر أود التركيز عليه ألا وهو الدفاع عن الخط الفكري الصحيح الذي نؤمن به، حيث إنه اليوم عرضة للضغوط الواردة من قبل الدوائر الاستعمارية والمفسدين في الارض والمنافقين من جانب، والبسطاء والسذج الذين يتأثرون باعلام المنافقين والمفسدين أيضاً من جانب آخر. وإذا كنتَ تؤمن بالرسالة وبسلامة الخط الرسالي وبانه يمثل البديل، فلا بد أن تدافع عنه وبكل ثقة وقوة، ومن دون أن تخاف لومة لائم. يجب أن تقول في نفسك: إني أدافع عن إيماني، ولكن ليس في مقابل الخطوط المنافسة له، وإنما في مقابل الدوائر الاستعمارية التي تحاول ضربه، وأدافع عن رسالتي لا عن عصبية وانما دفاعاً عن القيم الالهية.

إنَّ الاستعمار لا يدخل بيوتنا بجنوده، ولا يتواجد في الشوارع كتمثال أو مجسَّم في قالب معين، إنما الذي يتحدانا اليوم هو الفكر الاستعماري الذي يطرق أذهاننا بشكل أو بآخر، وعلينا نحن مقاومته والحد من تقدمه. ترى ما هو ذلك الفكر؟

إنَّ الفكر الاستعماري قد يحمله من يدَّعي الاسلام والايمان ولكنه يحارب خط الجهاد الاسلامي.

وقد يجالسك شخص يمتدح في حديثه اليك الخط الفكري الذي لا يؤمن بالجهاد بل يؤمن بأن يكون الانسان المؤمن مؤدباً وأنيقاً في إسلامه، مكثفياً بنصيحة الناس، لا يهمه إن لم ينصتوا له. فعليك هنا أن تكون نبيهاً ولا تقع في فخه، إنَّ الذي مهد الطريق

للاسرائيليين للدخول الى بيروت في احتلالهم للبنان لم تكن دباباتهم أو طائراتهم فحسب، وإنما كانت جرائدهم ومجلاتهم التي خلقت الارضية لذلك الاحتلال البشع، حيث نجد أن إحدى المجلات اللبنانية الشهيرة تكتب في كلمة عددها الصادر بعد الاحتلال الصهيوني للبنان: (إنَّ اللبنانيين قد ارتاحوا الآن، وبذلك انتهت مشاكلهم وانهم سيعيشون مع بعضهم بسلام).

إنَّ كاتب هذا المقال هو أخطر من الجندي الاسرائيلي الذي دكَّ غربي بيروت بصواريخه العملاقة وقنابله الانشطارية والعنقودية، فهو يسلبك إرادتك ويبرر لك أبشع عملية. علينا أن نحارب مثل هذه المجلات العميلة ونقاطعها، وإلا فنحن مسؤولون شرعاً، وانه لمن المؤسف أن نرى تلك المجلات تنتشر في طول بلادنا وعرضها. فعليك أنت أن تدافع عن خطك الفكري، وعن كل خط رسالي صحيح آخر يؤمن بالاسلام كله أينما كان، سواء في أفريقيا أو في أمريكا اللاتينية أو في أقصى آسيا أو أي مكان آخر. فالهمم هو الدفاع عن الخط الصحيح.

النقطة الثانية: ما دام الانسان يعيش في هذا العالم فعليه التضحية، حيث إنَّ الايمان بالحق دون التضحية من أجله يعني عدم الايمان الصادق، فالذين يدَّعون بأنهم يؤمنون بالحق كثيرون، وتراهم صادقين ما دامت مصالحهم الذاتية قد خُتِمَ عليها بالنجاح، وإذا ما أصابها الضرر تراهم قد انحازوا الى ضد الحق.

إننا اليوم نطالب شباب المسلمين رجالاً ونساءً بأن يكون عطاؤهم في مستوى الظروف التي نعيشها، فإن كانت الظروف غير ملائمة فيجب أن يكون العطاء في ذلك المستوى، واليوم لا نستطيع الاكتفاء بالواجبات التقليدية أو أن نكتفي بالعمل من دون تقوى.

فيجب مخالفة الهوى، ومحاربة النفس الامارة بالسوء، فإذا ما شعرت بأنك قد دفعت ثمناً وبذلت مهجتك وأنفقت مما تحب فستكون عندها في عداد العاملين في سبيل الله الذين يتقون الله حق تقاته.

النقطة الثالثة: الالتزام بالواجبات التي تصبّ في دائرة مصالح الامة، فالذي لا يلتزم بالواجبات - سواء كانت صغيرة أو كبيرة - ويزعم بأنه صاحب حق يجب أن يعاد الى رشده.

إنك اليوم طالب في مدرسة دينية، أو انك مجاهد تعمل في سبيل الله، أو كاتب، أو إعلامي، أو ما شابه، فإذا ما وضعت أمامك خارطة العالم الاسلامي والى جانبها خارطة بقية دول العالم، ثم أمعنت التفكير في حالات تلك المجموعتين من الدول، فانك ستحصل على النتيجة التالية: يعود السبب الاساس في تأخرنا وتقدم أعدائنا علينا هو أننا لا نلتزم بالخطط الموضوعه لنا من قبل الباري عز وجل، في حين أن أعداءنا يلتزمون وبكل دقة بالمخططات التي وضعوها لأنفسهم ضدنا.

فأنت أيها الطالب دخلت الجامعة وكان من المقرر أن تكمل دراستك خلال اربع سنوات، ولكنك ترى نفسك وقد أمضيت زمناً أطول ولم تنته دراستك بعد. ماذا يعني هذا الامر؟ فان دل هذا الامر على شيء فانما يدل على تقاعسك وعدم شعورك بالمسؤولية الملقاة على عاتقك، فتخادع نفسك وتؤجل عمل اليوم الى غد، في حين أن المجتمع ينتظرك على أحر من الجمر لتكون خريجاً تنفع الامة.

إن من أخطر الامور هو الانحراف والتكاسل والتقاعس، حيث إن ذئاب العالم اليوم يحاولون انتهاز الفرص لكي يفترسوا أبناء الامة الاسلامية ويحطموا ثقافتها، في حين انك تستطيع المساهمة في أن تحمي أفراد الامة من الوقوع فريسة للذئاب، وذلك بالجد والنشاط وبألا تؤخر عمل ساعتك لساعة اخرى، فانه من لم يكن في تقدم كان في خسران، ومن كان في خسران كان الموت أولى به.

والنقطة الأخيرة هي أن لا يكون التزامك بالعمل الإسلامي جدياً على حساب عمل آخر. إن الله سبحانه وتعالى قد أودع في الانسان قوى لا تعد ولا تحصى، وعليك أنت أن تفجر هذه القوى المتوفرة في نفسك في مجالات شتى وذلك بدمج العلم والعمل، إذ أن «الْعِلْمُ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَبَالٌ» و«الْعَمَلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ضَلَالٌ»^(١).

إنني اليوم أدعو الاخوان والاخوات في كل مكان أن يخططوا

١- عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٩، رقم ١٢٥٩ و ١٢٦٠.

لأنفسهم خطة تكاملية شاملة. ولا يكونوا كمن يعمل بجزء دون آخر. فالعلم له حصته من الوقت وللعمل حصته بشرط أن يكون الايمان قرين الاثنين.

ان الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١).

فالكلم الطيب هو العلم ولكنه لا يكفي لرفع الانسان الى الباري عز وجل إلا إذا اقترن بالعمل الصالح. فالعمل الصالح يرفعه الله اليه ويرفع المؤمنين به. والعمل الصالح يرفع الانسان صاحب العمل.

وأخيراً: إن راية الاسلام اليوم تنتظر من يحملها، وأعداء الاسلام في العالم كله قد جندوا قواهم، وجمعوا كيدهم، وألبوا قوى النفاق والجهل ضد المؤمنين. والآن نحن بحاجة الى حركة سريعة مخلصه شاملة، كي نستطيع أن نتحدى هذه الحملة الشرسة بكل أبعادها. ويمكننا الوصول الى ذلك بقوة القلم والعمل الصالح والتخطيط الشامل والالتزام الكامل، وبالتالي بقوة هذا البرنامج الذي يجعلك وأنت صاحب الحق صاحباً حقيقياً للحق.

١ - سورة فاطر: ١٠.

الحركة الاسلامية أمام التحديات الحضارية

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

ان الفكرة التي تصنع النهضة هي ذاتها التي تصنع الواقع، أما الافكار التي تبقى في حدود الفرضيات وتدور حول القضايا الفرضية المطلقة ولا تتمكن من أن تفجر طاقات البشر أو تعبأها في قنوات محددة، فانها لا تصنع نهضة ولا تغير واقعا.

فمن هنا ينبغي على الرساليين أنى كانوا أن يجددوا موقفهم

الفكري الذي يحملونه على ضوء مقياس واحد هو مدى قدرة هذا الفكر على تفجير طاقاتهم، وتحويل امكاناتهم الواقعية الى حقائق عملية في الساحة.

فعلى الحركات الرسالية ان تعلم بأن ٧٠٪ من الحركات التاريخية قد فشلت حينما لم تستطع أن تصنع وسيلة للدفاع عن نفسها، وحينما لم تتمكن من تطوير أساليبها ولم تستوعب تغيرات الحياة، والبعض الذي انتصر انتصاراً مادياً ووصل الى سدة الحكم انما هو للسيطرة على مقاليد البلاد وعلى الجماهير، ضمن هذا يتضح لنا مدى فشلها فهي لم توجد واقعاً جديداً ولم تتمكن من تحويل شعاراتها الى عمل وقيمها الى سلوك، وأفكارها الى احداث واقعية تعيش في الحياة ذاتها. لذلك سقطت وتجاوزها الزمن واحداث الحياة.

فاذا بقيت الحركات الاسلامية اليوم تردد الشعارات التي تردها كل الاحزاب والمنظمات ولكن بلغة اخرى، فهي تردد شعار الحرية والعدالة والمبادئ، بل حتى ان كثيراً منها تردد شعار الارتباط بالله، ولكن اذا لم تحول هذه الشعارات الى حقائق ملموسة فانها ستسقط هي الاخرى كما سقطت تلك الحركات التاريخية في هذه التجربة بالذات.

العلم: حاجة أساسية

ان الحركة الاسلامية اليوم لا تواجه بُعداً واحداً من أبعاد

التحدي الحضاري اوقياً زائفة في الحضارة الغربية، فالى جانب هذه القيم الزائفة هناك تراكمات هائلة من العلوم والافكار.

وهذه التراكمات لها ثقل الواقع، فعشرات الالوف من انواع الكتب تصدر كل عام في العالم. فهي ليست فقط تدور حول الجوانب المادية من الحياة الحديثة، بل تدور حول مجموعة من العلوم، فما هو الموقف منها؟ وكيف يستثمر اصحاب الحركات الجوانب الايجابية فيها؟

ان الحركات الرسالية تواجه ايضاً مهمة تحويل هذه العلوم الى حقائق ووثائق مادية، فالتقدم الهائل الذي حققه العلم في مجال الفضاء مثلاً، ما هو موقفنا منه؟ وما هي مساهمتنا فيه؟ وما هو العلاج لتخلفنا عنه؟

قبل عدة سنين كانت العقول الالكترونية بحجم السفن، بينما اليوم تمت صناعة ميكروكمبيوتر التي تستطيع ان تحمله في جيبك! وهذا الجهاز يقدم نفس الخدمة التي كان يقدمها ذلك الجهاز الذي كان بحجم سفينة كبيرة.

فما هي مساهمتنا في ذلك؟!

وما هو حلنا لمشكلة تخلفنا وصناعة هذا الجهاز، بل في بعض الاوقات نعجز عن فهمه وكيفية تشغيله؟

والحركات الاسلامية تواجه ايضاً اسلحة فتاكة صيغت لهدف تحطيمها ولتغيير مسارها، وبهدف سيطرة المستكبرين على الجماهير

التي تحاول هذه الحركات انقاذها من أيدي المستكبرين.

فالسلاح الجديد الذي صنعته القوى المستكبرة في العالم هو القنبلة النيترونية التي تصفها إحدى الصحف بأن من ميزات هذه القنبلة أنها تقتل الانسان وتحافظ على الحضارة.

فالانسان ليس له قيمة!

وإنما القيمة للحضارة!

فما هو علاج القنبلة التي تقتل الانسان وتحافظ على الحضارة؟

وهناك اسلحة فتاكة ومواد كيميائية لأخذ الاعتراف من المعارضين للطغاة في العالم وربما قطعوا في هذا المجال شوطاً بعيداً.

فما هو علاجنا لهذه البحوث؟

لقد صنعوا أدوات تجسس ونشروا إعلانات عنها في الصحف، إنها أدوات تجسس قوية ودقيقة الالتقاط وتوضع في القلم أو الساعة.

المبادرة في صنع الواقع

ان الحركات الاسلامية مهددة بالدمار اذا بقيت تعالج القضايا النظرية فقط، وتعتقد بأن مهمتها معالجة هذه القضايا النظرية وبيان زيف القيم الجاهلية المادية التي تقوم عليها الدول الاستكبارية في العالم. ولكن هذا لا يكفي لأنها تعالج نصف الحقيقة.

فنصف الحقيقة في العالم هي القيم التي هي أساس القاعدة، ولكن النصف الآخر للحقيقة هو الواقع العملي الذي يُبنى على قاعدة القيم.

ان الله سبحانه يقول:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^(١).

فكيف تنصر الله تعالى؟

هل تنصره بمجرد أن تردد شعارات أو كلمات، أو تنصر الله تعالى بعمل؟ ان الله تعالى يطالبك بعمل.

والعمل هو صنع الواقع. إنك اذا صنعت واقعاً جديداً على قاعدة القيم الرسالية فسوف يؤيدك الله تعالى. أما الاقتصار على صنع كلمات في الفضاء فان ذلك لا يدعو أحداً لأن ينصرك.

هذه هي التجربة الصعبة التي ينبغي على الحركات الرسالية ان تقيم عبرها فكرها وقدرتها الثقافية، وهي تحويل القيم الى سلوك وفعل، وعدم الاكتفاء بالأقوال والشعارات فقط، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«زِيَادَةُ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ أَحْسَنُ فَضِيلَةٍ، وَنَقْصُ الْفِعْلِ عَنِ الْقَوْلِ أَقْبَحُ رَذِيلَةٍ»^(٢).

فحينما يكون عملك قليلاً وكلامك كثيراً وشعاراتك كثيرة

١- سورة الحج: ٤٠.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٩١.

فان ذلك يسبب الهلاك لك، ذلك لأنَّ ما يُرى في عالم الملكوت هو العمل:

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

فاذا عملتم صنعتهم واقعاً، وهو ما يراه الله تعالى ورسوله والمؤمنون.

أما اذا لم تعملوا واكتفيتم بالكلام فان هذا الكلام سوف يذوب في الفضاء.

إنَّ السلوك يجب أن يكون حجة على سلامة القيم، أما السلوك الذي لا يتسم بهذه الصفة فإنه لا يدل إلا على شيء واحد وهو إما عدم الايمان بالقيم، وإما كون القيم التي يؤمن بها غير صحيحة. إنَّ الذي يدعو الى الاسلام ولا يطبق قيمه أخطر على الاسلام من الذي يدعي الكفر ويطبق منهجه، لأنه يشوّه صورة الاسلام تماماً.

تحويل القيم الى سلوك

اما من ناحية السلوك في العلاقات، فان شكل العلاقة بين ابناء الحركات الاسلامية الواحدة نابعة من قيم الرسالة، من التقوى،

١ - سورة التوبة: ١٠٥.

وبالذات من التقوى الاجتماعية، ومن كل ما قاله القرآن، فيكون السلوك نسخة ناطقة من القرآن الصامت. أئذ يصبح السلوك نفسه دليلاً دامغاً على سلامة المجتمع الذي يرغبون اقامته.

فهل ترغب في إقامة مجتمع الحرية أو مجتمع الارهاب؟

إذا قلنا بأننا نسعى الى إقامة مجتمع الحرية فلا بد أن تسود علاقتنا مع بعضنا علاقة الإحترام المتبادل، فكل طرف يجب أن يحترم الآخرين، لأنه يرى فيهم قدوة صالحة لنفسه وتجييداً للرسالة.

فالمجاهد يجب أن يُحترم، وأساساً المسلم يجب أن يُحترم، ولا يكون معرّضاً للانتقاد المخرب!

فعدم احترام شخصٍ للحركات الاسلامية، مع انه يدعي الانتماء إلى حركة اسلامية، يعني أنه لا يفهم بأن الحركة الاسلامية واحدة لا تتجزأ، حتى لو كان لها فصائل مختلفة، ويتضح ايضاً بأن المنتمين للحركات لا يحترمون أنفسهم، وهل يحترم الرسالة من يحارب المجاهدين؟ ومستحيل أن ينصر الله تعالى مثل هذه الحركات، حيث لا تسود علاقاتها الاجتماعية والنضالية روح الأخوة اليمانية.

ان الله سبحانه وعده بنصر من ينصره، ونصرة الله تتجسد ايضاً في نصره عباده المقربين اليه والعاملين في سبيله، فاذا لم ينصر الانسانُ عبادَ الله المؤمنين الصالحين فهذا يدل على عدم صدقه في انتائه للرسالة.

وفي هذا المجال نود أن نوضح للأخوة في كل الحركات الإسلامية أنّ الإنسان يملك في نفسه جانبين:

١ - جانب العنف.

٢ - جانب اللين.

فاذا جعلنا جانب العنف في أنفسنا متجهاً الى إخواننا المسلمين فمن الطبيعي أن يكون جانب اللين في مواجهة الكفار، واذا جعلنا جانب العنف في مواجهة الكفار فاننا نجعل جانب اللين في مواجهة الاخوان.

ومن يكون ليناً مع اخوانه يستطيع ان يكون عنيفاً مع أعدائه إذا اقتضى الأمر، ومن يكون عنيفاً مع اخوانه يضطر لأن يكون ليناً مع أعدائه.

وهذه المعادلة سُنَّةُ الهمة عبَّرت عنها آيات كثيرة ومنها هذه الآية التي تقول في صفة حزب الله تعالى المؤمنين الصالحين:

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

لولا أنهم أذلة وليّون تجاه المؤمنين فانهم لا يمكنهم أن يصبحوا أعزّة على الكافرين، فلا يمكن للإنسان أن يجارب على عدة جبهات. فلا بد أن يصالح جماعة ليحارب جماعة أخرى، فاذا تصالحنا مع أنفسنا حاربنا أعداءنا، واذا عكسنا اضطررنا الى التسليم أمام أعدائنا.

١ - سورة المائدة: ٥٤.

مسؤولية الوحدة

ومسؤولية الوحدة ليست مسؤولية القادة فقط.

فالقادة عادة يتحملون هذه المسؤولية أكثر من غيرهم لأن أساس قيادتهم هو توحيد الصفوف.

إن مسؤولية الوحدة هي مسؤولية كل فرد يملك وعياً سياسياً ورسالياً.

وعلى الجماهير أن تكون شاهدة على وحدة القيادة، وأن ترفض المؤامرات والتقسيمات الحادة، والافكار العنيفة داخلياً والليونة خارجياً، فهذه المسؤولية واجب تاريخي أمام الله سبحانه وتعالى. وأما اصحاب الوعي والبصيرة الذين قد يكونون في القيادة أو في مجالات أخرى داخل الحركة أو خارجها عليهم أن يقوموا بامتصاص الضغوط، ويكونوا لجاناً للتوحيد، ولمقاومة الارهاب والديكتاتورية والسلبيات داخل الحركات.

والكثير من الانتكاسات في تاريخ الحركات الإسلامية إنما جاءت بسبب عدم تحمل الجميع لمسؤولياتهم وإلقاء المسؤولية على شخص أو فئة. أما إذا دخل الجميع ساحة العمل وتحملوا مسؤولياتهم وعرفوا أن إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، فإن الخلافات ستزول. فليقيم الجميع بمسؤولياتهم وليعملوا كلهم.

وهنا تبرز أهمية تحول القيم الى سلوك.

حينما ننادي بالحرية فاننا لا ننادي بالشعار الفارغ، بل نحاول إقامة المجتمع الحرّ، والمعلوم ان الحرية هي المحك الثابت في إقامة دولة الحق، والحق يعتمد على الحرية.

واليوم حيث توجد فجوة حضارية لا بد من تجاوزها لأنها تفصل أمتنا عن ركب التقدم العالمي، وهذا لا يمكن إلا عن طريق تعبئة كل الطاقات. وهذا لا يكون إلا بوجود الحرية.

فاذا سادت علاقة الحرية والانفتاح والتقويم السليم للأشخاص بين الحركات الاسلامية، أو الفئات المختلفة داخل الحركة الاسلامية الواحدة فهو المطلوب، والآن فسوف تكون أعمالهم مناقضة لأقوالهم وسوف تكون أعمالهم هدامة لأفكارهم وضد شعاراتهم ولا يرضى عنهم الله ولا المؤمنون.

العلم قطار التقدم

والبعد الآخر لتحول الافكار الى حقائق هو بُعد القضايا العلمية.

ان الاسلام اساساً دين العلم، ودعوة الاسلام الى العلم دعوة اصيلة ومتصلة الجذور بمبادئه كلها، ولقد رأينا كيف تقدم العالم على متن قاطرة العلم، وهذا القطار هو الذي يحملنا الى التقدم ايضاً.

فيجب أن لا تكون الحركات الاسلامية جاهلة، فعلى كل فرد منتسب الى الحركات الاسلامية أن يكون واعياً بما يجري في العالم، وتكون لديه الافكار الواضحة عما يجري، وأن يكون عالماً بعلم التربية والنفس والتحليل السياسي والتحليل الاقتصادي، ويعرف التقدم العلمي الذي حصل في العالم في مختلف المجالات، فإن سلاح العلم أمضى سلاح، فقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَوُضِعَتِ الْمَوَازِينُ، فَتَوَزَنُ دِمَاءُ الشُّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ الْعُلَمَاءِ، فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ»^(١).

إننا بحاجة الى دم الشهيد، ولكن دم الشهيد سيذهب هباءً منثوراً اذا لم يخطط له تخطيطٌ جيدٌ عن طريق مداد العلماء، فحينما يقول الاسلام عبر النصوص الماثورة عن قادة المسلمين وأئمة الهدى: «الْعِلْمُ أَفْضَلُ هِدَايَةٍ» و«الْعِلْمُ نِعَمَ الدَّلِيلِ»^(٢)، فماذا يعنون بذلك؟

يعنون أن هناك بعداً آخر تستطيع أن تخدم الاسلام من خلاله وهو بعد العلم، أن تغور في أعماق العلم حتى أنك تكون جالساً في بيتك تكون أكثر حضوراً وشهوداً وأعلم من ذلك الذي يسير في الارض، لأنه يسير بجسده وأنت تسير بفكرك وبعلمك، فانت جالس في بيتك وتخطط بعلمك، بينما الآخرون جالسون هناك ولا

١- من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٩.

٢- غرر الحكم ويزر الكلم، رقم ٨٩٦ و ٨٨٧.

يعرفون ما يجري حولهم.

فلا يقول المجاهد في الجبهة العسكرية: إنني أجاهد بقوتي، لأنَّ صنع البندقية، بل وحتى طريقة حملها وتصويبها كل ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم. وحتى لو كنت جالساً في بيت من بيوت الجهاد، أو في قاعدة من قواعد العمل الرسالي في المدن أو القرى فلا تترك العلم، فإذا لم تكن لديك كتب أو صحف أو منشورات فحاول أن تتدبّر في الكون وتتفكر فيما حولك، لأنَّ الفكر مرآة صافية.

فالحركة الإسلامية يجب أن تكون ذات تخطيط قوي، فهي تجمع وتلخص وتحول التجارب الى قواعد سلوكية وتعمل بها، فالامام علي عليه السلام يقول لكميل في وصيته المعروفة: «يَا كَمِيلُ! مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ»^(١)، فقبل التحرك يجب رسم الخريطة، ورسم الخريطة يعتمد على العلم والمعرفة.

وهذا ما لا يحصل الا بعد التفكير والدراسة، وبالتالي بعد دراسة المواقع التي تحيط بعملك.

إنَّ الامام الصادق عليه السلام يقول عن المؤمن:

«الْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ»^(٢).

ويقول في وصف صاحب الفقه والعقل:

«عَارِفًا بِأَهْلِ زَمَانِهِ»^(٣).

١- تحف العقول، ص ١٧١.

٢- الكافي، ج ١، ص ٢٧.

٣- الكافي، ج ١، ص ٤٩.

فمعرفة العصر ركن اساسي للتحرك فيه والسيطرة عليه، أمّا أن ندرس التاريخ والماضي دون دراسة الحاضر والمستقبل فإنّ ذلك يعني أن يعتمد الانسان على عكازة واحدة. بينما القرآن الحكيم والآيات السابقة تذكرنا بضرورة تواجد القوة المادية للمؤمنين في ساحة الصراع بين الحق والباطل.

فلو لم تتطوّع فئة من الناس للدفاع عن القيم لانهارت كيانات تلك القيم، وانهار المسجد والصومعة والبيع (الكنيسة)، كل هذه الكيانات التي ترمز الى القيم سوف تنهار إن لم تتطوّع مجموعة للعمل المادي من أجل كسب قوة الدفاع عن النفس في الساحة:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

حينما تنصر ربك وتتحرك وتصطدم مع القوى الجاهلية عملياً آنئذ ينصرك الله، ثم ترى أن الله يؤكد في هذه الآية على كلمتي القوة والعزة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وأنت المؤمن ايضاً يجب أن تجسّد خلق الله تعالى في نفسك وحياتك، فتقوي نفسك وتصبح عزيزاً.

فالعزيز هو المهرب الجانب الذي يخشاه الجميع، وكل وسيلة من وسائل القوة يجب أن نملكها ونستخدمها عملياً حتى نتمتع

بالعزة، فحينذاك لا يستطيع أحد أن يغلبنا، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

إذاً الى جانب قدراتك المعنوية فلا بد أن تكون لديك القدرات المادية، سواء على صعيد الوحدة والتماسك، أو على صعيد الحصول على وسائل مادية للدفاع عن الاسلام، أو على صعيد الحصول على العلم في مختلف المجالات.

الفهرس

المقدمة.....	٧
تمهيد	٩
الفصل الاول: كيف نبني حركة رسالية؟.....	١٣
النهضة الاسلامية ضرورة حياتية.....	١٥
الاخلاص عنوان الحركة الرسالية	٢٣
سمات الحركة الرسالية	٣٥
الايمان منطلق الحركة الرسالية.....	٤٧
عوامل انتصار النهضة	٥٣
الفصل الثاني: استراتيجيات الحركة الرسالية.....	٦٣
دور الجماهير في استقلال حركات التحرر	٦٥
الحركة الاسلامية والمبادرات الرسالية	٧٥
نعم.. لحركات الاصطدام، لا.. لحركات الاستسلام...٨٧	
عوامل الاستمرار في النهضة الاسلامية.....	٩٩

الفصل الثالث: مسؤوليتنا تجاه الحركة الرسالية ١١١

الوحدة الاسلامية ومسؤولية العلماء ١١٣

الصراع مع الجاهلية مسؤوليتكم الاولى ١٢٣

الفصل الرابع: الوحدة ركيزة العمل الرسالي ١٣٣

توحيد الامة عبر توحيد الحركات ١٣٥

الحركة الاسلامية بين الشورى والتحزب ١٤٥

الحركة الاسلامية بين الصراع والتنافس ١٦٣

تباين الآراء في خدمة النهضة ١٧٧

الفصل الخامس: الحركة الاسلامية والتحدي المضاد ١٨٥

الحركة الاسلامية الواحدة والمؤامرات المضادة ١٨٧

النهضة الاسلامية والتحدي الجاهلي ١٩٩

الحركة الاسلامية أمام التحديات الحضارية ٢٠٩

● حين لا تكون الاستراتيجية واضحة، فإن كثيراً من الطاقات تذهب سُدى.

● والله أمرنا بأن نطلب منه الهداية الى (الصراط المستقيم). ولعل هذه الكلمة أفضل تعبير عن الاستراتيجية السليمة.

● والحركات الاسلامية التي من المفروض أن تكون الأنهر التي تستقبل تيار المدّ الاسلامي المتنامي، لا بدّ ان تفكر ملياً في موضوع الاستراتيجية السليمة.

● والاحاديث التي بين أيديكم نقاط فوق حروف الاستراتيجية الصالحة للحركات الاسلامية.